


# أخبار القلم و السيف

## في رحلة الشتاء والصيف

تنسيق و إعادة نشر مجموعـــــة لأنصـــــار البريدية

للاشتراك
http://www.ansar-jihad.net/

للمراسلة عبر البريد

al_ansar_2001@yahoo.com

أرسل رسالة فارغة إلى عنوان البريد التالي تصل إليك رسالة بها عناوين المواقع الجهادية

sites@ansar-jihad.net

بسم الله الرحمن الرحيم

# في ثغر من ثغور الإسلام ٠٠ الشيشان الأبيــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له . والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعــالمين وبعد:–

يقول الله في محكم كتابه ( ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجــون مــن الله مــا لا يرجــون وكــان الله عليمــا حكيمــا ) ١٠٤النســاء .. فمنذ خروج المجاهدين من بيوتهم للجهاد في سبيل الله لنصرة إخوانهم في العقيدة والــدين وهــم يتعرضون إلى ابتلاءات تلو الابتلاءات ، بداية من جهاد الــنفس والتغلــب علــى شــهواتها ، والإعراض عن الدنيا وعن من يرغب فيها ، ومروراً بلصوص الطــرق والنــصابين والمحتــالين ثم وعورة الطريق التي يسلكونها من جبال وأنهار ووديان مهلكة حتى يصلوا إلى أرض الجهاد ، كــل ذلك والصبر يملأ قلوبهم والرضى بقدر الله يخالط دمائهم ، فقد خرجوا هجرة في سبيل الله إيمانــاً واحتساباً وديدنهم ( ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة ، ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكــان الله غفــوراً رحيمــاً )١٠٠النساء .

فهم يعرفون أن طريقهم طريق مليء بالدماء والأشلاء إذ لابد فيه من الــصبر والتــضحية وتقديم النفس والمال . ولكنهم أصروا على مواصلة الطريق لأن هدفهم الأسمــى جنــة عرضــها السماوات والأرض أعدت للمتقين .وما أن وصلوا إلى أرض الجهاد أرض الشيشان حتى بــدأت سلسلة من الابتلاءات العظيمة ولكن يصحبها حفظ الله للمجاهدين.

وكان من أشد الابتلاءات التي تعرضوا لها في الشيشان تلك المسيرة الــتي انطلقــت مــن الجبال الجنوبية لدولة الشيشان إلى المناطق الشرقية للدولة ، وذلك بعد عزم قادة المجاهدين علــى تغيير أسلوبهم الحربي والانسحاب من كل المناطق التي يسيطرون عليها إلى مناطق رأى القادة أنها مناسبة لشن حرب عصابات طويلة الأمد ينتج عنها بإذن الله هزيمة مخزيــة للقــوات الغازيــة ، وكانت تلك المسيرة التي رسمها القادة لا تستغرق على الأكثر أربعة أيام رُسم خلالهــا الطريــق وعرفت مداخله ومخارجه ، وحينما أراد القادة أمراً قدر الله أمراً لم يكونوا يحتسبوه ، لأن الله أبى إلا أن يمحص المجاهدين لقوله ( وليمحص الله الذين آمنوا ويمحــق الكــافرين ، أم حــسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ) ١٤٢آل عمــران ، وقولــه ( ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم ) ٣١ محمــد ، وقــد تعــرض

المجاهدون للتمحيص في هذه المسيرة الطويلة وكان من الابتلاءات التي تعرضوا لها الحصار والجوع والخوف والبردوالمرض والجراح والقتل ، وذلك لمدة تزيد على أربعين يوماً ، يقول المولى سبحانه ( ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ) ١٥٥البقرة.. فقد ذاقوا الجوع ومرارته والخوف و شدته والبرد وقسوته وصبروا على ذلك كله صبر الجبال الراسيات إلى أن مَنَّ الله عليهم بكرمه وحفظه بالفرج ، و ( إن مع العسر يسراً ) وعقيدهم أن الله لن يضيعهم ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ، لقد ضربوا أروع البطولات في الصبر على الآلام القاسية والمواقف الصعبة وسطروا أعمالا جليلة يجب على التاريخ أن لا ينساها لهم ، فكم قطعوا من مسافات وكم صعدوا جبالا وهضابا وهبطوا أودية ومنحدرات خطيرة كل ذلك سيرا على الأقدام يخرجون من حصار ويقعون في حصار آخر ، ينجون من موقف ويقعون في آخر .

وقد جاءت تلك المسيرة بعد أن تصدَّوا لقوى الشر على قمم الجبال العالية لستة أشهر ضربوا خلالها أروع البطولات والتضحيات في النصر على قوى الكفر وأضخم جيش في العالم ، هو الجيش الأحمر الروسي المزوّد بأحدث العتاد الحربي ، لقد ثبتوا أمام الجيش الروسي ثباتا تعجز عنه الجيوش المنظمة ، وكانت تلك المسيرة من أروع المناورات فهي بحد ذاتها وما صاحبها من رعاية الله وتوفيقه تعد انتصاراً يسجل للمجاهدين على الجيش الروسي لعدة أسباب هي :

١-أن الجبال والطرق العامة المحيطة بالمنطقة التي تحركت فيها المسيرة كلها بيد الروس .

٢-ضخامة عدد المنسحبين من المواقع وكان يبلغ عددهم [١٢٥٠] مجاهدا ولا يمكن لمثل هذا العدد الضخم أن ينجو من المخاطر أثناء الانسحاب لسهولة كشفه ولصعوبة تحركه أيضاً .

٣-العدد الهائل للقوات الروسية في المنطقة الممتدة على طول طريق المسيرة .

٤- كثافة استخدام سلاح الجو الروسي في تلك المناطق والقصف المتواصل عليها أيضاً .

٥-عدم وجود أي غطاء جوي أو مضادات جوية للمجاهدين أثناء الانسحاب .

٦-قلة عدد القتلى والجرحى من المجاهدين نسبة إلى عددهم الضخم وقلة إمكانياتهم الدفاعية والمواقف التي مرت بهم .

وهذا يدل على رحمة الله بالمجاهدين ثم يقظة القيادة التي تتقدم المسيرة فقد أخرجوا المجاهدين بفضل الله من حصار شديد ومحنة عظيمة ، فقد قام القائد خطاب حفظه الله برصد الطريق بنفسه لضمان سلامة الطريق وسهر الليالي الطوال المتواليات يفكر في أمر الجرحى والمرضى والأصحاء على حد سواء ولا غرابة في ذلك فقادتنا يسيرون على نهج المصطفى صلى

الله عليه وسلم ويقتدون بأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين وقدوتهم في ذلك سيف الله المسلول خالد بن الوليد الذي كان يحرس جيشه بنفسه ويسهر عليهم فلله تلك الهمم ولله تلك الرجال .

يدوس بأقدامه في الثرى * وهامة همَّته في الثريا

فلقد أتعب القائد العام نفسه حرصا على سلامة المجاهدين حتى وصلوا بر الأمان سالمين...

وفي هذه الأسطر سنتطرق إن شاء الله إلى أحداث هذه المسيرة التي انطلقت من الجبال الجنوبية للشيشان حتى وصلت إلى المناطق الشرقية من نفس الدولة وما تعرضت له من مخاطر أثناء تلك المسيرة تحت عنوان :

## أخبار القلم والسيف في رحلة الشتاء والصيف

وستكون تلك الأحداث مقسمة على ثمانية فصول سنعرض في كل فصل بعضاً من هذه الأحداث ، ثم نختم كل فصل ما تلخص لنا من فوائد وعبر استفدناها في هذه المسيرة ، رغبة منا في إيصال أكبر قدر من الفائدة لإخواننا في كل مكان ، لأن القصص لا يراد من ذكرها إلا العظة والعبرة قال تعالى ( لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ) وقال ( وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين ) وقال ( نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين ) ونسأل الله العون في ذلك إنه ولي ذلك والقادر عليه .

## الجزء الأول

### بدايـــــــــة المســـــــــــيرة

تجمَّعنا في قرية زوني وجاء المجاهدون من كل اتجاه ونزل المرابطون من الجبال وجاء الـــذين كانوا في البيوت يوم الأحد ١٦/ذو القعدة ١٤٢٠هــ الموافق ٢١/٢/٢٠٠٠م وبـــاتوا ليلـــة واحدة داخل القرية حتى تأتي باقي المجموعات ولم يبق في شاتوي سوى مجموعات قليلة لإشـــغال الروس و إيهامهم بأن المجاهدين في مواقعهم ولم ينسحبوا وهذا ما حدث فقـــد بقيـــت مجموعـــة رمضان أحمدوف وحمزة قلايف تتصدى للروس وتحركت باقي المجموعـــات ويـــصل عـــددها إلى ١٢٥٠ مجاهدا إلى قرية زوني .

وكان الأمير العام لتلك المسيرة الأخ القائد خطاب حفظه الله ، وكان يرافقه القائد شـــامل بساييف ونظراً لأن جرحه لم يلتئم بعد فقد كان محمولاً على فرس وفي الأيام الأخيرة حمل علـــى الأكتاف ، وكان النائب الأول للقائد العام الأخ القائد يعقوب ، والنائب الثاني للقائد العام هـــو الأخ القائد أبو الوليد حفظ الله الجميع ، وقد تشرفنا برفقة فضيلة الشيخ أبو عمر محمد الـــسيف المسؤول الشرعي في المجلس العسكري للمجاهدين ، وكان في المسيرة أيضاً مجموعة من الأخـــوة الأفاضل القادة الميدانيين كأبي عمر النجدي وعبد الصمد الطاجيكي الذي استشهد أثناء المسيرة في اشتباك مع القوات الروسية التي أنزلت في الجبل لتسد الطريق على المجاهدين .. رحمك الله يـــا عبد الصمد وأسكنك الفردوس الأعلى ، و أبي جهاد الأفغاني ، و أبي ياسر السوري ، وســـيف الإسلام المصري ، وأبي ذر الطائفي ، و بلال التركي ، و أبي روضة المكي ، و أبي قتيبة المكي ، و إسلام الشيشاني ، و شهر الدين الشيشاني ، وأبي ذر الشيشاني ، و شريف وحسين الشيشانيين ، و حنظلة ورباني الداغستانيين ومنهم من قتل في المسيرة كشالي أدين ، و إلياس ، و عبد الهـــادي رحمهم الله جميعاً وتقبلهم في الشهداء .

الأنصـــــار: حينما نقول الأنصار فإنا نعني بها كل من ناصر القضية الشيـــشانية وأتـــى بنفسه مضحيا من أجل [ لا إله إلا الله ]، فهم من أقطار شتى وجنسيات مختلفة ولكـــن قلـــوبهم مؤتلفة وهدفهم واحد ولقد صبروا وضحوا من أجل الله وحده ذاقوا الجوع ومرارتـــه والخـــوف وشدته والبرد وقسوته انتفخت منهم الأقدام وتغيرت الألوان ولسان حالهم الحمد لله على كـــل حال وعقيدهم أن الله ناصرهم على عدوهم . يمتثلون أوامر أمراءهم يتراحمون فيما بينهم والحب في الله لبعضهم بعضا يملؤ قلوبهم فجزاهم الله خيرا ورحم الله شهداءهم وشافى جرحاهم إنـــه ولي ذلك والقادر عليه .

الانطـــلاق :

بعد مواجهة مشرفة من قبل المجاهدين لمدة ستة أشهر أمام أحدث القوى في العالم قوة الدب الأحمر الروسي انطلقنا من قرية زوني باتجاه الشمال إلى داخل الشيشان وذلك للأسـباب الـتي ذكرناها سابقاً وهي قرار القيادة العامة للمجاهدين بتحويل أسلوب الحرب إلى حرب عصابات ، وذلك يوم الإثنين ١٧/ذو القعدة ١٤٢٠هـ الموافق ٢٢/٢/٢٠٠٠م الساعة التاسـعة لـيلا . فبعد تشكيل المجموعات بدأت القافلة تسير باتجاه الشمال عبر الطريق العام حتى دخلـت قريـة يرش مرديه ثم أخذت بالسير يمينا إلى شرق القرية وانحدرت بعد ذلك يسارا إلى الطريـق العـام وكان الجو سيئا على الروس ، والطريق الذي نسير عليه قريب منهم ولكن الله يحفظ المجاهـدين ويحرسهم .وأثناء السير خارج القرية جاء الطيران وبدأ بالقصف العشوائي فسقطت القنابل قريبة من الطريق الذي يسير عليه المجاهدون فجرح منهم اثنان ، ثم اتجهت القافلة يمينا صاعدة بـذلك أول جبل تصعده في المسيرة وكان الموقف صعبا بسبب الطين ولأنه أول صعود في المسيرة واستمر الطريق على هذه الحالة صعودا واستقامة ثم صعودا وهبوطاً حتى وصـلت القافلـة رأس الجبـل وبدأت تسير في خط مستقيم على رأس الجبل حينها وجدنا القائد العام منتظراً في الطريق يراقب القافلة من أولها إلى آخرها يتفقد أحوال المجاهدين .

ثم واصلت القافلة سيرها على رأس الجبل لمسافة غير بعيدة ثم انحدرت يساراً إلى الأسـفل حتى استقرت في أرض مستوية وهناك بتنا أول ليلة لنا في الغابة والجو بارد جـدا وبعـضنا نـام والبعض الآخر لم ينم من شدة البرد وعند الظهر جاءت الأوامر من القائد العام بأن تتحرك القافلة إلى أعلى لأن المكان الذي بتنا فيه قريب من الروس .

بعد الأوامر من القائد العام تحركنا لمسافة ٥ كم ثم حططنا رحالنا وأشعلنا النيران وأخـذنا أماكننا استعدادا للمبيت في الغابة وكانت هذه هي الليلة الثانية وكم كانت الليلة قاسـية علينـا فاستعدادنا كان ضعيفا لمثل تلك الظروف إذ أن أحسننا حالا من وفق لحمل كيس بلاستيك يقيه رطوبة الأرض ولحاف يلتحف به وقليل من الأكل ، لأن الكثير منا لم يكن يتوقع ما سيواجهه فقد انتشر الخبر بيننا أن المسيرة أربعة أيام فقط فتساهلنا في التزود لها ، حتى أن القيادة لم تكن تظن أن تواجهنا صعوبات في الطريق الذي تم الكشف عنه سابقاً لذا أمر القائد العام بوضع كل الطعـام على الطريق في أول قرية خرجنا منها وقال خذوا كل ما استطعتم حمله فإن أمامنا مسيرة لا نعلم نهايتها ، ولكن لم يهتم الإخوة لذلك وحملوا من الزاد القليل ، وعلى كل حال فقد نزل الـثلج في الليل وأُطفئت النيران وبتنا في وضع يرثى له فقد كانت هذه أول ليلة يسقط الثلج علينا ونحن في الغابة وكان البرد شديداً جداً .

و في اليوم الثاني تحركت القافلة إلى أسفل الجبل إلى وادي شاري أرجون وكان الجو لحسن الحظ غائما . وعبرت النهر الذي يعرف بنهر شاري أرجون ثم دخلت في الجبال الواقعة غرب وادي شاري أرجون وفي أحد هذه الأودية الصغيرة تهيأنا للبقاء فيه وأخذنا مواضعنا للمبيت فيه وكان الجو قد ازداد سوءًا لأنه وقت شتاء والثلوج تنزل ومن التعب ألقى بعض المجاهدين بنفسه على الأرض مفترشاً الثلج وملتحفاً السماء بدون مبالاة مع ما في ذلك من آثار سيئة على صحتهم وشاء الله أن نبقى في هذا الوادي لمدة ستة أيام متتالية حاولنا خلالها الخروج ولكن الروس كانوا قد شعروا بنا فتراجعنا إلى أماكننا السابقة وسنشرح ذلك في فصول قادمة .

فوائد وعبر :

١-إن بقاء بعض الأخوة في مواقعهم لإشغال العدو ريثما تتحرك باقي المجموعات كان عملاً مهماً لأهمية هذا الفن ، وهو فن التمويه على الأعداء والتمويه هو عبارة عن إظهار ما يخالف الحقيقة وهو علم له أثر كبير على مجريات الحرب ، وقد أعطى الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الجانب قدراً كبيراً من الاهتمام وهو ما يسمى اصطلاحاً بالتورية بل إن حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم العسكرية كانت كلها تدور ضمن هذا المبدأ، وكما روى البخاري ومسلم عن كعب بن مالك رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم ( لم يكن يريد غزوة إلا ورّى بغيرها إلا فتح مكة وغزوة تبوك ) .

ولا نريد الإطالة بسرد أمثلة من السيرة على ذلك ، وكانت الخدع الحربية عنصراً مهماً في حسم بعض المعارك من العهد الأول وحتى يومنا هذا حتى الحروب الحديثة تعتمد اعتماداً ضخماً على مثل تلك الخطط ، وما كان فعل خالد رضي الله عنه في مؤتة إلا أعظم خدعة حربية وأفضل انسحاب عرفه التاريخ يوم أن سحب جيشاً قوامه ثلاثة آلاف مجاهد من بين مائة ألف مقاتل يفوقونهم عدة وعتاداً ، فنظم خالد الانسحاب فاختار كتائب من الفرسان وطلب منها المرابطة خارج مؤتة فإذا أصبح الصبح والتحم الناس جاء بعضها إثر بعض مرتفعة أصواتهم بالتكبير وعدو الخيل يثير النقع ثم تشترك في المعركة كما أبدل مواقع فرق الجيش إذ جعل الميمنة مكان الميسرة والساقة بدل المقدمة ، كل ذلك ليوهم الروم أن جيش المسلمين جاءه مدد وقوات دعم ، وفعلاً خاف الروم مغبة الأمر لما رأوا تتالي كتائب فرسان المسلمين وكأنها فرق كبيرة حسبما يظهر من الغبار المرتفع والأصوات المتعالية وزاد خوف الروم وأيقنوا أن المدد قد وصل واعتقدوا أنهم لا قبل لهم بقوات إضافية كبيرة وقد أنهكتهم قوات صغيرة فكيف لهم بجموع كثيرة لم تعرف التعب ، ولما فصل الظلام بين الجيشين انسحب خالد رضي الله عنه على شكل كتائب يحمي بعضها بعضاً منعاً لملاحقة الروم لها ، هذا نموذج واحد من نماذجنا العظيمة التي شكلت فيها

الخدعة الحربية نصراً بحد ذاته والتاريخ مليء بالعبر والدروس ولكن من يعي ويدرس تاريخنا العظيم ؟ .

٢-قبل تحرك الإخوة للمسيرة تم توزيع المسؤوليات والمهام ، وأهمية ذلك لا تخفى على أحد ، ولكن لا بد أن ننبه على أن توزيع المهام والتأمير على الجيش له ضوابط ومقومات ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول كما روى أبو داود ( أنزلوا الناس منازلهم ) فتأمير الأمراء ليس على حسب الأقدمية أو السن أو العلم أو التقوى أو الشجاعة بل لكل وضع ما يناسبه فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص في معركة ذات السلاسل على كبار المهاجرين والأنصار وكان فيهم أبوبكر الصديق رضي الله عنه وكان عمرو رضي الله عنه حديث عهد بإسلام ولم يمض على إسلامه إلا أربعة أشهر بل إن أبا عبيدة لما وصل بمدد إلى جيش عمرو رفض أن يكون الأمير ودخل تحت إمرة عمرو ، وكذلك أمّر رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة وهو ابن الثامنة عشر عاماً على جيش فيه وعمر وأبي عبيدة وسعد بن أبي وقاص وغيرهم فلم يكن العمر ضابطاً في التأمير ، وكذلك رفض عمر رضي الله عنه تولية البراء بن مالك لأنه كان شجاعاً وقال " لا تولوا البراء فإنه مهلكة " .

والولايات عموماً يُختار لها القوي التقي ولكن ربما تطرأ بعض الأمور يحتاج فيها الأمير إلى تولية قليل العلم والدين نظراً لمعرفته بالأرض أو لشجاعته أو لدهائه ، فمن قال إن الأعلم أحق بالإمارة نقول هذا أبو بكر أعلم من عمرو وقد أمر رسول الله صلى عليه وسلم عمرواً عليه ، ومن قال إن الأقدم هجرة أولى بالإمارة نقول هذا خالد بن الوليد أُمّر على البدريين في مؤتة ، ومن قال إن الأشجع هو الأمير نقول إن عمر وعلياً رضي الله عنهما أشجع من أسامة وقد أمّر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما أسامة ، فالإمارة لسيت حكراً على صنف من المسلمين أو جنسية أو قبيلة ، لأن لكل مجاهد قدرة وطاقة فمتى احتجنا قدرة هذا وطاقته نوليه لانفراده بقدرات ليست عند غيره وإن كانوا أعلم منه وأتقى ، يقول شيخ الإسلام في الفتاوى ٢٨/ ٢٥٤ " اجتماع القوة والأمانة في الناس قليل ولهذا كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : ( اللهم أشكو إليك جلد الفاجر وعجز الثقة ) .

فالواجب في كل ولاية الأصلح بحسبها فإذا تعيّن رجلان أحدهما أعظم أمانة والآخر اعظم قوة ؛ قُدِّم أنفعهما لتلك الولاية وأقلهما ضررا فيها فيقدم في إمارة الحروب الرجل القوى الشجاع وان كان فيه فجور على الرجل الضعيف العاجز وإن كان أمينا كما سئل الامام أحمد عن الرجلين يكونان أميرين في الغزو وأحدهما قوى فاجر والآخر صالح ضعيف مع أيهما يغزى فقال : ( أما الفاجر القوى فقوته للمسلمين وفجوره على نفسه وأما الصالح الضعيف فصلاحه

لنفسه وضعفه على المسلمين فيغزى مع القوى الفاجر وقد قال النبي ﷺ : ( إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ) وروي ( بأقوام لا خلاق لهم ) وإن لم يكن فاجرا كان أولى بإمارة الحرب ممن هو أصلح منه في الدين إذا لم يسد مسده ) .. إلى آخر ما قال ..ولولا طوله لنقلناه كاملاً فهو كلام نفيس في الولايات فليرجع إليه والله أعلم .

٣-صمود المجاهدين لمدة ستة أشهر في حرب نظامية غير متكافئة العدد والعدة مع عدوهم وآلته العسكرية المتكاملة التسليح والمدعومة من أكثر من ست دول هي الصين وألمانيا وأمريكا وبريطانيا وروسيا البيضاء وأوكرانيا وكندا والكيان الصهيوني وغيرها من الدول ، فهذا الصمود ولهذه المدة يعد بحد ذاته نصراً نفتخر به ، ويسجلها التاريخ هزيمة نكراء لحقت بالجيش الروسي الذي يملك أعلى عتاد حربي تقليدي وبشري في العالم ، ووصمة عار في وجه الجنرالات الروس ورئيسهم الأحمق الذي تعهد بإنهاء الوضع في الشيشان خلال ثلاثة أسابيع ، وزعم الجنرالات أنهم الآن في المرحلة الثالثة للقضاء على العصابات كما يسمونها وهم الذي سبق أن أعلنوا أن المرحلة الثالثة تأخذ أسبوعاً واحداً فنسأل الله أن يخذلهم ويردهم على أعقابهم خاسرين .

٤-تحويل المجاهدين لأسلوبهم الحربي من حرب نظامية إلى حرب عصابات جاء بعد دراسة متأنية لأوضاع المعركة خرج بعدها القادة بأن أفضل أسلوب تواجه به قوات مغولية تمتلك عتاداً هائلاً هو أسلوب الضرب من حيث لا يحتسب الخصم ، لأن العدو الغازي وصل إلى أقصى درجات الحقد والإجرام ، فحينما تصل نسبة توقعه بوجود مجاهدين في منطقة ما حتى إلى نسبة ١% فإنه يتبع سياسة الأرض المحروقة فيهلك الحرث والنسل كإجراء وقائي بزعمه والعاصمة خير شاهد على ذلك ، وقد ذهبت قيادة الإرهاب الروسي إلى أبعد من ذلك حينما قررت عزمها على استخدام أسلحة الدمار الشامل لإنهاء الحرب ، فكان تغيير القادة لأسلوب الحرب قطع على المجرمين ما عزموا عليه وأُسقط في إيديهم وأصبح لزاماً عليهم أن يوجهوا الموت البطيء أو ينسحبوا بإذن الله تعالى .

٥- لقد تميزت هذه المسيرة عن المسيرات الأخرى بحفظ الله للمجاهدين أكثر من أي وقت مضى وهذا ما سيتضح في الحلقات القادمة إن شاء الله تعالى .

٦- كان الإخوة في المسيرة لا يسيرون في درب إلا وقد وطئته أقدام القائد العام أو نائبيه ذلك الدرب قبلهم إلا ما ندر ، وهذه هي حقاً مهام القيادة ودليل ذلك قول رسول الله صلى الله وعليه وسلم كما جاء في الصحيحين ( إنما الإمام جُنَّة يقاتل من ورائه ويتقى به ) وقال كما جاء في الصحيحين أيضاً ( هل أنتم تاركون لي أمرائي إنما مثلكم ومثلهم كمثل رجل استرعي إبلاً أو

غنماً فرعاها ثم تحين سقيها فأوردها حوضاً فشرعت فيه فشربت صفوه وتركت كدره فصفوه لكم وكدره عليهم ) .

فإذا لم يتمثل القادة تلك النصوص ويكونوا مقدم الجيش ويباشروا الصعاب هم قبل غيرهم فكيف ينصر الله جيشاً قادةً متكئين على الفُرش ولا همّ لهم إلا قيل وقال ؟ وإذا حمي الوطيس رأيتهم كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة ؟ ، فالقائد جُنَّة أي سترة يتقي به الجند أعداءهم ، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه أحمد عن علي رضي الله عنه قال (كنا إذا احمرَّ البأس ولقي القومُ القومَ اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون منا أحد أدنى من القوم منه ) وروى أحمد أيضاً عن علي رضي الله عنه قال (لما حضر البأس يوم بدر اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من أشد الناس ما كان أو لم يكن أحد أقرب إلى المشركين منه ) وجاء في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال ( كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وكان أجود الناس وكان أشجع الناس ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً وقد سبقهم إلى الصوت وهو على فرس لأبي طلحة عُري في عنقه السيف وهو يقول لم تراعوا لم تراعوا قال : وجدناه بحراً أو إنه لبحر ) نعم هذه صفات القائد الذي يستحق أن يكون جنة يقاتل من وراءه ، لا أن يكون ذَنَباً يُقاتل من أمامه فالسعيد من تابع نبينا في صفاته واتخذه قدوة في كل دقيق وجليل .

٧- التهاون في الأمور وعدم إعطائها حقها من الإعداد قد يكلف الكثير جداً ، فحينما سار كثير من الأخوة بناءً على ظنهم بأن المسيرة تستغرق أربعة أيام كما كانوا يقطعونها سابقاً ولم يتجهزوا بما يحتاجونه اعتماداً على ما اعتادوا عليه ، فلما دهمتهم ظروف لا قبل لهم بها كادت أن تؤدي بهم إلى التهلكة لولا لطف الله بهم ورعايته .

٨- بعض الأخوة الذين تصرفوا قبل أن يفكروا بالعاقبة وناموا على الماء والطين مما أثر بصحتهم فيما بعد ، وننبه هنا على أنه يجب على المجاهد أن لا يعيش لنفسه بل يعيش لأمته ، فكل ما يضر بصحته و يضعف من عطائه لهذه الأمة ولو على المدى البعيد فليجتنبه ، ومن حمل همّ الأمة فإنه سيسخر كل قواه وإمكانياته لحماية الأمة ولا يفكر بانفرادية أبداً ، فعلى المجاهد أن يكون قدر المسؤولية وأن يفكر بمن وراءه ويضع دائماً نصب عينيه هدفه وغايته وكل ما يعيقه أو يضعفه عن ذلك الهدف وتلك الغاية فليجتهد وسعه في اجتنابه والله الموفق .

## الجزء الثاني

## وادي الجـــــوع

يقول المولى سبحانه ( ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ) البقرة ١٥٥ . كان الدخول إلى هذا الوادي يوم الأربعاء ليلا بتاريخ ١٩/ذو القعدة ١٤٢٠هـ الموافق ٢٤/٢/٢٠٠٠م والسبب في تسمية الوادي بهذا الإسم هو أن ما حدث فيه من جوع شديد أنهك الكثيرين بقدر ليس بالهين عليهم مما حدا بالإخوة أن يسموه بهذا الاسم . فمن أول يوم دخلنا فيه هذا الوادي بادرنا بأكل ما بحوزتنا من طعام حتى قل الأكل عندنا ووصل الحال بنا إلى حد لا نحسد عليه فمنا من أصبح قوته طوال يومه ملعقة طحين بالسكر أو لقمة مكرونة جافة ، ومنا من بات اليوم والليل لا يأكل شيئا ، وبدأت المسغبة تعم المجاهدين خصوصاً الأنصار فالكثير منهم لم يحدث له في حياته أمر كهذا ، ولكن القلوب راضية بقضاء الله وقدره وكلهم ثقة بأن هذه المحنة سوف تنجلي بإذن الله وما هذا إلا امتحان لهم من الله وفي أحد هذه الأيام سقط الثلج علينا في الليل وبتنا في جوع شديد وبرد قارس وأشعلت النيران للتدفئة ولكن ما عساها تفيد في مثل هذا الجو القارس .

وفي اليوم الرابع حاول المجاهدون الخروج من الوادي ولكنهم تراجعوا بعد أن بلغوا مشارف وادي شاري أرجون من نفس الطريق الذي دخلوا منه لأن الروس كانوا قد شعروا بهم فبدءوا يرمون بالقنابل المضيئة لكشف حركة المجاهدين ، وكم كانت الليلة صعبة علينا جميعاً فقد هدّنا الجوع والبرد والأرض طينية صعبة ووحل شديد يمسك الأرجل فلا تخرج إلا بصعوبة أو تخرج ويبقى الحذاء في الطين مع ما في ذلك من انزلاقات متكررة خطيرة و البعض سقط من الإعياء وشدة الجوع والبرد ، وكل هذه الأمور مجتمعة مع الحمم التي تصب فوق رؤوسنا من أعدائنا فقد كان أمراً يفت في عضد المجاهدين ولكنهم يذكِّرون أنفسهم ويقنعونها بأن الله لاشك جاعل بعد ذلك يسراً فإن عسراً لا يغلب يسرين ، وما هذا إلا امتحان من الله لعباده المجاهدين أو هو مما كسبت أيدينا نسأل الله أن يعفو عنا .

ورجعنا إلى أماكننا السابقة واستمر وضعنا كما كنا عليه ، وكنَّا عند وصولنا في غاية من الإرهاق والتعب ، فالقى بعض المجاهدين بأنفسهم على الأرض وناموا ولم يشعلوا نيراناً فقد صدرت الأوامر من النائب يعقوب بعدم إشعال النيران حتى لا ينكشف الموقع فكانت بحق من أقسى الليالي التي مرت علينا في هذا الوادي ، وقد بتنا في الوادي اليوم الخامس والسادس وفي اليوم السادس خرجنا من الوادي والسبب في التأخير لمدة ستة أيام في هذا الوادي هو عدم وجود

الطريق وسنذكر هنا المحاولات التي حاولناها للخروج من وادي الجوع وسننقل رواية القائد العام خطاب حفظه الله فقد قال: [ أرسلت الأخ أبا عمر النجدي فضلّ الطريق وانقطعت أخباره عنا ثم ذهبت أنا وأبو الوليد لنرصد الطريق فلما وصلنا إلى إحدى الغابات في الليل لمحنا ناراً من خلال الأشجار فظننت أنهم من المجاهدين فلم أتقدم خوفاً من أن يظنونا من الروس فيرموا علينا ولم أتوقع أنهم من الروس فلم يكن لهم من قبل أماكن كهذه فتقدم أبو الوليد إلى ثلاثة أمتار منهم وقال السلام عليكم ثلاث مرات ولكن لم يردوا فتراجع إلى الخلف وفتح أمان السلاح .

ثم أرسلت أحد الإخوة الشيشانيين لكي يتفاهم معهم بالشيشانية فبدأ الروس بإطلاق النار وجرح أحد الإخوة الشيشانيين وانسحبنا من المكان وقبل هذا كنت بجوارهم أتكلم في جهاز اللاسلكي لفترة طويلة ولكنهم لم يسمعوا ، ثم بدأنا نبحث عن طريق آخر وصعدنا إلى قمة أخرى لنسلكها وعند السير فوجئنا بكمين آخر للروس وبدأ إطلاق النار قتل فيه أحد الإخوة وجرح الأخ أبو الوليد في ظهره ثم انسحبنا لنبحث عن طريق ثالث وعلمنا أن الطريق الذي نحن فيه لا يصلح لوجود الروس فيه بكثرة فأرسلنا أحد الإخوة الشيشانيين فرجع ولم يكمل الطريق لأن الثلج قد نزل وأعاقه عن مواصلة الطريق فبدأت أجتهد وأبحث عن طريق آخر فلم يكن أمامي سوى خيار واحد هو صعود الجبل الذي إلى يسار الوادي [ أي من جهة الشرق تقريباً ] فأرسلت المجموعة الأولى معها أبا ذر الطائفي رحمه الله عبر هذا الطريق لكي يدخلوا إلى القرى ثم نأتي نحن من بعدهم .

وعندما سار أبو ذر كان الطريق جيدا ولكنه لا حظ على يمين الطريق مواقع للروس تبعد حوالي ١ كم فأخبرني بجهاز اللاسلكي عندها لم تطمئن نفسي لهذا الطريق فصعدت إلى أعلى الجبل وهناك جلست وفي اليوم السادس كان الروس يمشون على آثار الأخوة الذين مشوا بالأمس فتقابلنا في الجبل الذي يطل على الوادي الذي به المجاهدون وبدأت الرماية وكان ذلك في الساعة ١١ قبل الظهر ثم جاءت المجموعات الأخرى بعدنا}

انتهت رواية القائد خطاب حفظه الله نقلت بتصرف ...... وسنشرح تفاصيلها في الفصل الثالث .

فوائد وعبر :

١- ينبغي على المرء أن يكون لديه بعد نظر ، فالمجاهد الذي أكل ما لديه من طعام نفد طعامه وبات طاوياً أكثر الأيام التي مرت عليه ، ولو أنه تصور شيئاً من الصعاب التي ستمر به على أسوأ الأحوال لأحسن إنفاق ما لديه من الطعام ليكفيه أكثر مما ينبغي ، وهذا لا بد أن يكون

في كل الأمور حتى في طاقة الجسم لا بد أن تقسم الطاقة على أسوأ الاحتمالات وهذا ليس من سوء الظن بالله بل من أخذ الحذر والحيطة .

٢- لقد وجد بعض الأنصار شدة وألماً فاق ما وجده غيرهم من الشيشانيين ، والسبب في ذلك أنهم تعوّدوا على عيش بعيد كل البعد عن التقشف والخشونة ، فلما تغير الحال عليهم استنكرت أبدانهم ذلك الحال ومرضوا وشارف بعضهم على الهلاك ، فلم يقتلهم عدوهم ولكن كاد أن يقتلهم الترف ، فينبغي على كل مسلم أن يعد العدة ويبتعد عن الترف والترفه قدر استطاعته ويخشوشن فقد قال عمر رضي الله عنه ( إخشوشنوا تمعددوا فإن النعمة لن تدوم ) فالمسلم ينبغي عليه إذا حمل هم أمته ليناضل عنها في ساحات الجهاد أن يعد نفسه ويبتعد عن كل سبب يثقله عن أداء مهمته ويترفع عن الكماليات التي أهلكت الكثير من أبناء أمتنا وليضع نصب عينيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء عند أحمد وأبي داود عن فضالة بن عبيد ( قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهانا عن كثير من الإرفاه و قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا أن نحتفي أحيانا ) .

والمتأمل لذلك يجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم تصدر منه تلك الأوامر لأصحابه إلا ليعودهم على الخشونة ويبعدهم عن الترف حتى لا يعيقهم ذلك عن الجهاد ويحببهم للدنيا ، فلتكن أخي المسلم حياتك كلها جهاد وشدة وعود نفسك على الجوع بالصيام وعود نفسك على السهر ، وعود نفسك على الشدة والمشقة بالمشي لمسافات طويلة في الجبال أو الصحاري ، وقد كان من نعم الله على نبيه أنه أمره بالهجرة إلى بلد كانت الحروب القبلية تعصف بها منذ عقود سبقت الهجرة لذا وجد رجالها بعدما أسلموا على أشد ما يكون الرجال من البأس والقوة والعدة ، فنصر الله بهم رسوله صلى الله عليه وسلم وقول الله تعالى ( وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ) والقوة هنا تشمل القوة البدنية التي هي الآن قوام قوة المجاهد ، ومجاهد بلا قوة بدنية كالمرأة تحتاج إلى حماية وتدبير ، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء عند مسلم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ( المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير ) يجعلنا نحرص على أن نقوي أبداننا بتجنب الترف والترفه وحمل النفس على الصعاب والمشاق تدريباً لها وإعداداً والله المستعان وعليه التكلان .

٣-التحلي بالصبر نعمة من نعم الله على عباده فمن صبر وذكر الله كثيراً حال شدته يسَّر الله له والله يقول ( يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ) وحقيقةً : إن الصبر وأسبابه وفوائده أمر عظيم جداً ينبغي لنا ألا نعرج عليه بمثل هذه العجالة ،

بل نعطيه قدراً أكبر من الطرح والعرض لأهمية الموضوع وخاصة في مثل هذه الأيام التي تعددت فيه بلايا الأمة ومحنها نسأل الله أن يكشف الغمة وينجي الأمة .

ولكن على كل حال يكفينا في فضل الصبر قول رسولنا صلى الله عليه وسلم في الصبر كما جاء في الصحيحين عن سعد بن مالك أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : ( من يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن يتصبر يصبره الله وما أُعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر ) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء عند مسلم عن كعب بن عاصم ( الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماوات والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها ) وللصابر أجر عظيم يطول المقام بنا إذا عرضنا لشيء من فضائله ولكن أهم عوامل الصبر هو الإيمان بالله والثقة به فمن رُزِق ذلك كان الصبر من صفاته بإذن الله نسأل الله ألا يحرمنا فضله .

٤- ينبغي على المسلم والمجاهد خاصة ألا ينهار ويفقد الأمل من أول محاولة فاشلة يقوم بها لإنجاز عمل من الأعمال ، فقيادتنا وفقهم الله كرروا البحث عن مخرج لنا من الوادي وحاولوا محاولات لم يكتب لها النجاح وهم مصرون على ما أرادوا على الرغم من الخسائر التي لحقت بهم من جراء تلك المحاولات حتى كتب الله لنا النجاح بالخروج ، فالإصرار والتحدي لا بد أن تكون صفات يتحلى بها المجاهد فيصر على النجاح ويتحدى الصعاب ولا ييأس ولا يقنط فرحمة الله واسعة وما الفشل إلا أول خطوات النجاح .

٥-كان القائد العام حفظه الله يبحث لنا عن طريق سهل علينا يحافظ فيه على قوانا وطاقتنا فعرض نفسه للخطر أكثر من أربع مرات كل ذلك حتى يجنبنا الإرهاق وذلك بصعود جبل شاهق كان يعرف أنه سينهك قوانا لوسلكناه أولاً فحاول الاستبقاء على قوانا ولكن دون جدوى ، فأمرنا أخيراً بعد المحاولات مضطراً الصعود إلى الجبل الذي تجنبه أولاً ، وما ذلك الفعل منه إلا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يرويه مسلم عن عائشة ( سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بيتي هذا اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه ومن ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به ) نسأل الله أن يرفق و ييسر على قائدنا كما يسر علينا ويحفظه .

٦- أهمية إرسال الطليعة أو العين لتتقدم الجيش كنذير أو بشير وهذا الأمر لا شك أن أهميته معروفة بالبديهة ، ولكن الأمر الذي يغيب عن أذهان الكثير هو من يصلح لأن يكون طليعة الجيش وعينهم ؟ يجيب على هذا السؤال قول الرسول صلى الله عليه وسلم لحذيفة عندما

أرسله عيناً على الأحزاب كما رواه مسلم ( فأتني بخبر القوم ولا تذعرهم عليّ فلما ولّيـــت مـــن عنده جعلت كأنما أمشي في حمام حتى أتيتهم فرأيت أبا سفيان يصلي ظهره بالنار فوضعت ســـهما في كبد القوس فأردت أن أرميه فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تذعرهم علـــي ولو رميته لأصبته ) وكما قيل أرسل لبيباً ولا توصه ، فالطليعة والعين لها صفات ينبغي أن تراعى لتحقق هدفها فالتهور والاستعجال والمجازفة وعدم التفكير بالعواقب كل هذه الصفات مفـــسدة لمهام الطليعة والعين الراصدة ، فكان أبو ذر رحمه الله نعم الطليعة وخيرة الرجـــال نـــسأل الله أن يسكنه الفردوس الأعلى .

# الجزء الثالث

في يوم الإثنين ٢٤/ذو القعدة ١٤٢٠هـ الموافق ٢٩/٢/٢٠٠٠م تحركنا باتجاه رأس الوادي عكس الطريق الذي دخلنا منه لمسافة غير بعيدة وذلك بعد الظهر ثم اتجهنا صاعدين إلى اليسار على الطريق المؤدي إلى قمة الجبل المشرف على الوادي وسارت القافلة بحذر شديد تقف عند سماع طائرة التصوير ثم تمشي بعد ذهاب الطائرة مع ما يرافق ذلك من قصف مدفعي وصاروخي عشوائي على الجبل وعندما وصلنا إلى قمة الجبل كانت المفاجأة فقد اصطدمنا بقوات المظلات الخاصة الروسية التي جاءت قبل قليل لتمشيط الجبال وبدأت المعركة والله المستعان على أمور الدنيا والدين .

سَحْــق القوات المظلية الخاصة:

نذكر هنا رواية القائد العام خطاب لأنه أول من واجههم يقول {صنعت لنفسي بيتاً من القش في أعلى الجبل بعد ما سمعت أن هناك مواقع روسية في الجبل وبِتْنا فيه ، ومن فضل الله أننا استيقظنا قبل وصولهم إلينا وإلا فقد كادوا أن يصلوا إلينا ونحن نائمون ، يقول : تقدمت ومن معي من الحرس قليلا فرأيت الروس قادمين وكانوا فصيلين تقريباً ، أي ما يقرب من ٧٠ جندياً ، فلما رأيتهم أعطيت إشارة للإخوة بأن يتوقفوا ، ولكنهم لم يفهموا فانتبه الروس لنا وانتشروا يمينا ويسارا وبدأت الرماية فجاءت طلقت رشاش بيكا في صدر أحد الإخوة الحرس وسقط على الأرض فازداد غمي : كيف أسحبه من هذا المكان ؟ ولكن الحمد لله كانت هذه من الكرامة فالرصاصة لم تدخل إلى صدره وجرحت الجلد فقط ، ثم جاء الإخوة ودارت رحى المعركة ...}

انتهت رواية خطاب .

لما بدأت المعركة توزع المجاهدون يمين الجبل ويساره وبدأت المدفعية الروسية تقصف الجبل فكانت تأتي على المجاهدين والروس على حد سواء فقام القائد يعقوب حفظه الله بمحاصرة الروس مع المجموعات التي معه وحاصروهم من ثلاث جهات من الأمام و من اليمين واليسار فقتل من الروس مجموعة وجُرح آخرون ، وانهزم الباقون وفروا إلى الخلف حيث كان باقي منهم مجموعة أخرى هناك .

وهنا تجلت مواقف للمجاهدين في عشق الشهادة والصدق في طلبها فهذا أبوثابت رحمه الله الذي لم يترك عملية إلا وشارك فيها ولا جبهة إلا وزارها عندما طلب القائد المساعدة هبّ كالليث مسارعاً ليساعد إخوانه ولسان حاله يقول ( وعجلت إليك رب لترضى )، وكذلك

أخونا فاتح التركي حينما طلب القائد المساعدة ووقع عليه الاختيار قام يكبر ويبكي من الفرحة لأنه سوف يشارك ، وأخذ يسلم على إخوانه يودعهم وكأن له موعداً مع الشهادة وماهي إلا دقائق ويأتي خبر استشهاده رحمه الله .

ثم واصلت المدفعية الروسية قصفها للجبل فقتل في القصف مجموعة من خيرة المجاهدين نحسبهم كذلك ولا نزكي على الله أحدا من عباده فقد قتل الأمير عبد الصمد الطاجيكي ونائبه شهر الدين الشيشاني وأمين البوسنوي وأبو ثابت الدهيشي الذي قتل وهو يرفع يده إلى السماء ويدعو الله فهنيئا له الخاتمة الحسنة فمن مات على شيء بعث عليه ، كما قتل مجموعة تصل إلى ٣٠ مجاهداً نسأل الله أن يتقبلهم ويرفع درجتهم في علّيّين وأن يلحقنا بهم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولائك رفيقا ، كما جرح عدد من الإخوة منهم الأخ يعقوب الذي كان يغطي الأخ عباد ( عبد اللطيف الشارخ رحمه الله ) بجسمه ولا عجب أن يكون هذا من القائد يعقوب فإنه الأب الحنون للمجاهدين والكل يعرف من هو يعقوب والكلُّ يحبه .

ثم رجع بعض الإخوة لإيصال الشهداء إلى الأماكن المعدة لدفنهم وبقيت المجموعة الأخرى في مكان المعركة ترصد الطريق واستمر الوضع كذلك والقصف الشديد مستمر حتى الساعة الثالثة ليلا وكان الجو بارداً جداً والقصف شديداً جداً وفي هذه الليلة اجتمع على المجاهدين كل البلاء من جوع وخوف وبرد وثلج ومرض وجرحى وقتلى .. بلاء ما بعده بلاء حتى إن بعضهم كان يدعو قائلا {اللهم اكفنا الجراح فإنا لا نقدر على حمل الجرحى واكفنا القتل فإنا لا نستطيع دفنهم ....} . وبحمد الله تم دحر الروس وفتح الطريق ولكن كان هذا بداية انكشاف الطريق .

عند الساعة الثالثة بعد منتصف الليل تحركنا على نفس الطريق الذي يسيطر عليه الروس وتقدمنا باتجاه الروس وأثناء السير كان القصف يأتي على جنبات الطريق ولكن الله حفظ المجاهدين من قصف الروس فلم يصب أحد منا فهو وحده العالم بحالنا فنحن ضعاف جوعى ومرضى لا نستطيع حمل جرحانا ، وسارت القافلة بخطى بطيئة خوف الكمين ولمسافة ٢كم تقريبا تحركنا ثم بدأ إطلاق النار من جديد عند الإنزال الثاني للروس ومن رجع إليهم من باقي المنهزمين من الإنزال الأول وكان ذلك وقت الفجر .......

وسنذكر تفاصيل المعركة الثانية في الفصل الرابع .

فوائد وعبر :

١-كان القادة يميزون طائرات التصوير عن غيرها من الطائرات على الرغم من عدم امتلاكهم لمثل هذه الأسلحة ، وهذا يفيد أن المسلم ينبغي عليه أن يدرس وضع عدوه دراسة شاملة دقيقة يفيد ذلك قول الله تعالى ( وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين ) فاستبانة

سبيل المجرمين ينبغي أن يفهم فهماً شاملاً فيستبان أمر العدو من جميع النواحي وهذا يعود على المسلم بحسن اختيار أسلوب الوقاية والمواجهة لعدوه والنكاية به . وأفضل الاستبانة ما جاء بعد تجربة وبالتجربة تأكدنا أن الدعايات الروسية التي تزعم أن أقمارها الصناعية بإمكانها أن تصور هدفاً بحجم ٢سم مربع كلام دعائي لا يمكن أن تثبته عملياً .

وكانت القوات الروسية تعلم بوجود تجمع كبير للمجاهدين في ذلك الوادي ولم تستطع تحديد مكاننا عن طريق أقمارها كما تزعم ، ومسيرة تضم ١٢٥٠مجاهداً أليست تشغل مساحة أكبر من ٢سم مربع ؟ ولكن المسلمين قصّروا باستبانة سبيل المجرمين فبدءوا بتصديق كل دعوى تطلقها أجهزة الإجرام العالمية ، والناظر اليوم إلى الصهاينة يجد أنهم أرعبوا المسلمين ليس بقوتهم الحقيقية بل أرعبوهم بدعاياتهم الفارغة ، ولو تحققنا من تلك الدعايات باستبانة سبيل المجرمين لربما وجدنا ثلاثة أرباع دعاياتهم التسليحية والاستخباراتية جوفاء ، فمتى يكون لنا اهتمام باستبانة سبيل المجرمين بالشكل الشامل الحقيقي الذي يفي بأغراضنا ؟

٢-عدم انتباه الإخوة لإشارات القائد العام سبّب لهم المواجهة مع عدوهم في وقت هم في غنى عن ذلك وهذا بلا شك بقضاء الله وقدره ، ولكن ينبغي دائماً على المسلم أن يكون حريصاً كل الحرص على الأخذ برأي وتوجيهات من يفوقه علماً وخبرة فإن صاحب العلم والخبرة مفضل على غيره والله يقول ( قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ) فالغفلة عن استشارة ذوي الخبرة والفضل قد يحدث أموراً لا تحمد عقباها ولكن الله لطف بهم وأحسن ، وبركة استشارة أهل العلم والفضل والخبرة لا ينحصر في ميدان المعركة فقط بل هو شامل في كل شؤون الحياة فلا يحقرن أحد رأي غيره فلربما وجد في رأي غيره صواباً كان في غفلة عنه ، والرسول صلى الله عليه وسلم كان مسدداً من الله ولا يحتاج إلى مشورة أحد من البشر ومع ذلك أمره الله بقوله تعالى : ( وشاورهم في الأمر ) فكان يستشير الصغير والكبير ، فاحرص أخي الكريم ولا تغفل عن رأي غيرك وكما جاء في الأثر :( والحكمة ضالة المؤمن ) .

٣-بسبب قرب المجاهدين من القوات الروسية أثناء الاشتباك بدأت القوات الروسية بقصف الجميع ، وهذا الفعل من القوات الروسية له دلالات منها :

أولاً : أن القوات الروسية لا تقيم لأفرادها أي وزن فلأدنى سبب تعرض أرواحهم للخطر وتقتلهم فهي في هذا القصف قتلت من قواتها أكثر مما قتلته من المجاهدين .

ثانياً : أن قصف القوات الروسية للمجاهدين مع قوالها كان ذلك نتيجة فرحة القوات الروسية بتحديد مواقع المجاهدين بدقة فرأت أن هذه فرصة لا تعوض ولا بد من استثمارها حتى لو راح جنودها ضحية استثمار هذه الفرصة .

ثالثاً : الاشتباك القريب مع الأعداء يعطل سلاح الجو ويعطل المدفعية هذا ما يفترض مع أي قوات تقدر حياة جنودها فلو كانت هذه القوات غير القوات الروسية لأوقفت القصف عند اقتراب جنودها لمسافة ٤٠٠متر من المجاهدين وهذا الفعل الأخرق من الروس لم نشهده أو نسمع به من قبل فلله الحمد على اضطرابهم وتخبطهم إلى هذا الحد .

٤- أبو ثابت قبض الله روحه وهو على خير حال يتمناها كل مسلم ، قتل مجاهداً مقبلاً غير مدبر قتل وهو رافع يديه إلى السماء يناجي ربه ، فالخاتمة الحسنة للمجاهد كفى بها داعياً إلى اقتفاء أثره والسير على دربه ، ولو حدثنا المسلمين بمصارع إخواننا سواءً في الشيشان أو غيرها لثارت نفوسهم شوقاً حتى يقتلوا على ما قتل عليه إخوانهم ، ونسأل الله أن يمكنا من كتابة بعض إحسان الله علينا بأن جعل منا من يقبض وهو ساجد أو يقبض وهو يردد لا إله إلا الله محمد رسول الله أو يقبض وهو يلقي على إخوانه خطبة يحثهم فيها على مواصلة طريق الجهاد لو أراد إلقاءها صحيحاً لما استطاع ، أو يقبض وهو يقول إني لأجد ريح الجنة ، أو يقبض وهو يضحك لما يرى من النعيم العظيم مصداقاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم أن الشهيد يرى مقعده من الجنة مع أول دفقة من دمه ولقوله صلى الله عليه وسلم ( لا يجد الشهيد من مسّ القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة ) ، فنسأل الله ألا يحرمنا فضله ، فخاتمة كهذه ألا تستدعي أن يحرص المسلمون على الجهاد رجاء مثل هذه الخاتمة ؟ .

٥- إن الأخوة في الله هي من أعظم الأواصر التي تربط العبد بأخيه وفضلها عظيم ، وما تتضح تلك الأخوة إلا حينما يشتد الحال وتبلغ القلوب الحناجر ، فيوم وقى الأخ يعقوب أخيه عباد بجسمه لم يكن ذلك تصنعاً منه فأنى لرجل أن يتصنع ما ليس فيه في مثل ذلك الموقف وقد اقترب الموت و رُئي رأي العين ، فمتى تُرجِمَت الأخوة على الواقع بمثل هذه الأفعال كانت حقاً أخوة يستحق المتصف بها أن ينال ما قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله منهم ( رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ) وقوله كما جاء عند الترمذي وأحمد عن معاذ رضي الله عنه ( يقول الله عز وجل المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء ) .

فالمحبة لله ليست دعوى تطلقها الألسن بل هي أفعال صادرة عن شعور قلبي راسخ لا يتزعزع ، فنسأل الله الرحمة ، من منا يستطيع إعطاء الأخوة في الله حقها كما ينبغي ؟ فأكثر دعوى المحبة في الله في زماننا لا تترجمها الجوارح فهي ادعاء ليس له رصيد من الواقع ، ويا سبحان الله من جمع أولئك النزع من كل أرض في بلاد الشيشان حتى أضحى الرجل يحب أخاه أكثر من حبه لأخيه من النسب بل أكثر من حبه لنفسه فيفديه بها ؟ والله إن كان في الدنيا غنيمة فلنعم الغنيمة أخ يفديك بنفسه ، لا أن يجاملك على حساب دينك أو يهجرك يوم لا مصلحة له عندك .

٦- إن الشجاعة والإقدام أمر مطلوب في المسلم وخاصة المجاهد ، فعندما دحر الله الروس تحركنا على نفس الطريق الذي يسيطر عليه الروس وتقدمنا باتجاههم على الرغم من انكشاف الطريق لهم ، ولو أن الخوف ملئ القلوب وقتها مع ما صاحب المعركة من تعب وجوع لما استطعنا أن نقدم على مثل تلك الخطوة الخطيرة ، ولكن الله ثبت القلوب وأحبت الموت في سبيله وأقدمت بكل شجاعة فحفظها الله وحماها ، ولو فكرنا بعد ذلك بما فعلنا لخفنا وقلنا لو استقبلنا من أمرنا ما استدبرنا ما أقدمنا مثل ذلك الإقدام ، عناية الله كانت تحيط بنا وهو وحده مثبت القلوب ، ولكن لا يثبت الله أحداً ما لم يستعن به ويتصبَّر وجاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ هم خير منهم وإن تقرب مني شبرا تقربت إليه ذراعا وإن تقرب إلي ذراعا تقربت منه باعا وإن أتاني يمشي أتيته هرولة ) والله قادر على أن يأتي عبده هرولة بغير بذل العبد شيئاً ، ولكن الله علَّق إقباله على عبده بفعل العبد نفسه ، فمن أحب أن يقابله الله بشيء فليقابل الله بمثيل ما يريد من الله ، فإن الله هو أهل الفضل والإحسان بل كلما زاد العبد تقرباً إلى الله أعظم الله له العطاء والإحسان وسدده .

وهذا مصداق للحديث القدسي الذي رواه البخاري وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل ( ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته ) فسبحان جزيل العطاء وهو غني عن خلقه قال الله تعالى ( هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ) فأحسن لنفسك إن أردت الإحسان من الله .

# الجزء الرابع

## معــركة السمــاء

في فجر يوم الثلاثاء ٢٥/ذو القعدة ١٤٢٠هـ الموافق ١/٣/٢٠٠٠م بـدأت معركـة السماء . حقا إنها معركة السماء فإن المتأمل لحالنا لا شك أنه سيذهل وربما تذرف عيناه الدموع من ذلك الموقف ، فتصور أخي الكريم : ستة أيام من الجوع والبرد أعقبها بعـد ذلـك قـصف مدفعي مع تعب الطريق وشدته ، وفقدنا خلال ذلك القصف أحد الأمراء مع مجموعة من خيـار الإخوة نحسبهم كذلك ولا نزكي على الله أحد من عباده ، ثم يكتب الله لنا النـصر في المعركـة الأولى ، ونبيت طوال الليل في خوف وجوع وبرد وقصف مركّز ، وأكف الضراعة مرفوعة إلى السماء والدموع تنهمر ، وكلنا ثقة في أن الله بيده مفاتيح الفرج وأنه جاعلٌ من بعد عسر يـسرا .. ثم نواجه معركة أخرى مع الفجر !!!

فالوضع لا شك أنه صعب جدا طوال الليل لم نذق طعم النوم ولا قوة لنا إلا بالله ، فعندما بدأت المواجهة في الفجر أمر القائد شامل أن يترل المجاهدون إلى الوادي الواقع جنـوب الجبـل الذي هم عليه والوادي سحيق جدا ، فترل المجاهدون بين الأشجار فأحس الروس بهم ، فتقـدموا على مشارف الوادي وبدءوا الرماية على المجاهدين من خلفهم ولكن لكثافة الأشـجارلم يُـصَب أحد والفضل لله وحده أولا وآخراً ، ثم انحدرنا بسرعة إلى منتصف الجبل وكانت الصدمة كـبيرة فأمامنا هاوية كبيرة ، ومن فوقنا الروس يطلقون النار علينا فما كان أمامنا من خيار سوى الترول من تلك الهاوية ، وكان القصد من الترول إلى الوادي هو التخفي فيه حـتى الليـل ثم مواصـلة الطريق .. وكم كان الأمر عظيماً وشاقاً !! فالهاوية خطيرة ونحن في منتصف الجبـل ، فكـان أن ألقى بعضنا بنفسه من الهاوية ولحسن الحظ كان في الأسفل رمل ناعم ، فلم يصب أحد منا بأذى ، واجتمع عدد غير قليل منا في الوادي وبدأ القصف المدفعي يترل علينا ولكن الله حفظنا .

وكان الصبح قد أسفر وعند شروق الشمس جاءت الأوامر من القائد شـامل بـسايييف بالصعود من الوادي إلى أعلى الجبل ، وجاءت الطائرات المروحية واشتد القـصف المـدفعي .. والقوات الخاصة في أعلى الجبل ينتظرون من تبقى من المجاهدين لكي يجهـزوا علـيهم – هـذا بزعمهم – ولكن الله لهم بالمرصاد ، وكانت الأرض طيناً والمرتفع عالٍ جداً والأجـسام منهكـة للغاية ، وعندها بلغت القلوب الحناجر ، وجف اللعاب فلا تسمع إلا همـسا ، واشـتد قـصف الروس ولكن أين ؟ وعلى من ؟ فلا إله إلا الله الوضع لصالح الروس والأمر صورياً بيدهم ، وفي

غمضة عين يغير الله الأمور لصالح المجاهدين الضعفاء الذين لا حول لهم ولا قوة إلا به وحـــده ، فيأتي القصف فيترل القصف المدفعي الروسي على القوات الروسية فأبادهم عن بكـــرة أبـــيهم ، وعددهم أكثر من ٥٠ كافراً .

وفُتح الطريق أمام المجاهدين وتوقف الطيران الروسي والقصف المدفعي ، وأكرم الله بعـــض الإخوة بالشهادة وجرح آخرون ، وعند مرور المجاهدين على الشهداء في رأس الجبل كان الموقف صعبا على النفوس ومؤلماً ، فجثث الإخوة ملقاة على الأرض منهم من قضى نحبه ، ومنهم الـــذي يحتضر ورأسه مفتوح من الأمام والخلف ومُخه يخرج من خلف رأسه ، ورابع يحفر لنفسه قبراً في حفرة القذائف المتفجرة وهو ينازع الموت ، وخامس لم يدفنه أحد .. منظر يبكي القلوب دمـــاً ، ولكن سرعان ما يتحول الموقف إلى فرحة وبهجة ترتسم على الوجه ؛ فعلى بعد خطـــوات مـــن الشهداء تجد جثث الروس ممدة في الأرض وفي أبشع قتلة ، ثم تزداد الفرحة حين تقدمنا لأمتـــار ووجدنا اكثر من ٤٠ روسيا ممددين على الأرض كأصحاب قليب بدر _ والكفر أمة بعضها من بعض – فلا إله إلا الله .. فهذه من الكرامات التي منَّ الله بها على المجاهدين .

وبقي لنا أن نتوقف عند منظر في غاية الدهشة ، فعندما تفحصنا جثث الكـــلاب الـــروس وجدنا معظمهم مفتحي الرؤوس من قبل وجوههم ، ومقطَّعة أفخاذ بعضهم من الخلف ، فيذكّرك هذا المنظر بقول الله سبحانه ( ولو ترى إذ يتوفى الذين كفـــروا الملائكـــة يـــضربون وجـــوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق ) الأنفال ٥٠ ..

ولك أن تتأمل في مقتلهم ( وقد عرضنا صورهم في فلمنا جحيم الروس الجـــزء الثـــاني ) فكلهم بجوار بعض و ليسوا متفرقين .. فياترى من جمعهم بهذا الشكل ؟ ، ولو كـــان القـــصف الروسي الذي قتلهم فكيف بالقصف أن يقتلهم أكواماً بعضهم فوق بعض وفي مكـــان واحـــد ؟ وعادةً من يقع عليه القصف ينتشر في المنطقة ليبحث عن أي ساتر من هذا القصف ، وإذا كـــان القصف الذي قتلهم فكيف بالقصف يصيبهم في أماكن متشابهة ؟ فأغلب إصـــاباتهم كانـــت في وجوههم وأدبارهم !!!.. فاعتبروا يا أولي الألباب .. قتلهم الله ونصر عبده وأعز جنـــده وهـــزم الأحزاب وحده وهو القائل ( فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ، وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ، وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا إن الله سميع عليم ) ١٧ الأنفال ... فالحمد لله وحده على هـــذا النصر المبين ..

ثم تقدمنا ووطئنا بأقدامنا المتوضئة تلك الجثث النجسة الكافرة وواصلنا المسير حتى نهايـــة الجبل ثم انحدرنا يسارا إلى الغابة وسنفصل ذلك في الفصل الخامس.

فوائد وعبر :

١–لقد بات المجاهدون ليلتهم يتضرعون إلى الله بأن ينصرهم ويفرِّج عنهم ، وما أجمل تلك اللحظات التي يفر فيها العبد لربه ويعلم أنه وحده هو مفرج الكرب ، وما أعظم الفرحة إذا نزل الفرج بعد الشدة ، وقُرب الفرج وبُعده معلقٌ بدعاء العبد وعمله قبل الشدة ، ومن منا له أيـاد مرفوعة في الرخاء والرسول صلى الله عليه وسلم يقول لابن عباس كما عند أحمد ( تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ) وقال كما عند الترمذي عن أبي هريرة ( من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء ) وعند ابن أبي حاتم والطبري وغيرهما عن أنس رضي الله عنه ( أن يونس عليه السلام لما دعا في بطن الحوت ، قالت الملائكة يا رب هذا صوت معروف من بلاد غريبة ، فقال الله عز وجل : أما تعرفون ذلك ؟ قالوا ومن هو ؟ قال عبدي يونس ، قالوا عبدك يونس الذي لم يزل يرفع له عمل متقبل ودعوة مستجابة ؟ قال نعم ، قالوا يا رب أفلا ترحم ما كان يصنع في الرخاء فتنجيه من البلاء ؟ قال بلى ، قال : فأمر الله الحوت فطرحه بالعراء ) فبعمل يونس عليه السلام قبل الكربة شفعت له الملائكة فأنجاه الله ، أما فرعون إمام الكفر والعناد فبسبب سوء عمله وتجبره وتكبره لم يقبل الله منه يوم أن قال (آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين ) فقال الله له ( آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ) فلم يقبل الله منه توبته وكما شفعت الملائكة ليونس عند الله فإن الملائكة كرهت توبة فرعون كما جاء عند الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ( لما أغرق الله فرعون قال ( آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل ) فقال جبريل : يا محمد ، فلو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر فأدسه في فيه مخافة أن تدركه الرحمة ) فالملائكة لم تشفع لفرعون بل ملأت فمه طيناً حتى لا ينطق بما يكون سبباً لرحمة الله له ، فمن عرف الله في الرخاء عرفه الله في الشدة وهذه وصية أوصى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلام ابن عباس رضي الله عنهما .

وكثير منا لا يعرف الله ولا يدعوه إلا إذا أصيب بمصيبة .. وهذا أمر لا ننكر فضله ولكن ينبغي على العبد أن يكون له ارتباط بربه ويتعرف عليه في الرخاء ليعرفه في الشدة وينجيه ، أما أن يكثر العبد الغفلة ثم إذا مسه الضر دعا ربه منيباً إليه فهذه خصلة من خصال المشركين والله يقول عنهم : ( فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ) ، فمن عرف الله في الرخاء ملأ الله قلبه يقيناً بالفرج وأن مع العسر يسرا ، والثقة بقول الله تعالى ( أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ) لا تأتي إلا بعد معرفة لله في الرخاء ، وحسن صلة معه .. نسأل الله ألا يحرمنا قربه ومعرفته .

٢- القائد شامل كان في حالة يرثى لها ، وعلى الرغم من ذلك كان يوجه القافلة ويختار ميدان المعركة ، ولم يكن هذا الأمر عليه جديداً ، فقد خرج من غروزني محمولاً على النقالة ، وعلى الرغم من ذلك كان يوجه الأخوة وجرحه يثعب دماً ..فلله در مثل هؤلاء الرجال.. حب الجهاد وتحمل المسؤولية مزروع في قلوبهم ، فعلى الرغم من ما يصابون به من بلاء إلا أنهم محط الأنظار والقيادة فنسأل الله أن يثبتهم على هذا الطريق ويهديهم سبيله ونسأله ألا يفتنهم حتى يلقوه وهم على ذلك .

٣-كان البلاء الذي أصابنا بعد هذه المعركة والشدة التي واجهناها رققت ما قبلها ، فلما بلغت القلوب الحناجر ظننا أن هذه هي المهلكة (حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين ) وقلنا ( متى نصر الله ) والله عز وجل إذا أراد شيئاً أنما يقول له كن فيكون ، ففرحنا بنصر الله بعد أن أيقنا الهلاك فلا إله إلا الله ما قدرنا الله حق قدره ، فعظمته وقوته وقدرته فوق كل شيء ولكن أين اليقين بالله ؟

٤- إن القَتْلة التي مات بها الروس قَتْلة تدعوا للعجب .. ونحن على يقين أن مثل هذه القتلة لم تكن بفعلنا ولا بفعل قصف الروس أيضاً ، لأن القرائن ووضع جثث الروس لا يدل أبداً على أنهم كلهم قتلوا بالقصف الروسي ، ولم يكن القصف العشوائي يوماً يحدث مثل تلك النتيجة المذهلة بغير أثر على الأرض ..

وربما يقول قائل : فمن فعل ذلك إذاً ؟ نقول : فعله القوي العزيز فله جنود السماوات والأرض ، وهو كريم يكرم عباده بما يشاء ، وإن كنا أقل من ذلك الإكرام ولكن نعم الله لا تحصى ، فالذي أكرم الأولين لا يعجز عن إكرام الآخرين ، والكرامة تحدث لعباد الله وهي إلى ضعيف الإيمان أقرب لتقوّي إيمانه ، فما جاء من الكرامات في حياة التابعين أكثر منها في حياة الصحابة وهكذا ، وأهل السنة قاطبة يُقرّون بحصول الكرامات للعباد .. ولم يشذ في ذلك إلا ابن حزم والاسفرائيني ، حتى الأشاعرة يقرون بالكرامات ولم ينكر الكرامات جملة وتفصيلاً إلا المعتزلة وطائفة من أهل البدع ، والحديث يطول في تقرير الكرامات وضوابطها ، وذكر نماذج منها حصلت في التاريخ ولنا إن شاء الله بحث عن الكرامات نسأل الله العون والسداد لإتمامه .

# الجزء الخامس

## وادي المـــــــوت

لا أدري كيف أسوق أحداث هذا الوادي ..فقد كانت شدة وادي الجـوع ، وأعقبها معركة الإنزال الأول والثاني من الساعة ١١ظهرا يوم الإثنين إلى الساعة ٩صباحا من يوم الثلاثاء ، حتى فتح الله الطريق أمامنا إلى وادي الموت .. بلاءٌ يعقبه بلاء ، وتمحـيص وأي تمحـيص ؟؟ فالطريق قد انكشف للروس وأصبح المكان محدداً ومحاصراً أيضاً .

دخلنا إلى هذا الوادي نهار الثلاثاء ٢٥/ذو القعدة ١٤٢٠هـ الموافق ١/٣/٢٠٠٠م ومنذ أول يوم دخلت القافلة وادي الموت والطيران بأنواعه يقصف الوادي ، كما أن ذلـك الـوادي بغاباته محاصر من جميع اتجاهاته وتوغل المجاهدون داخله باتجاه قرية سلمن تاوزني فرصدهم طيران التصوير ، وبدأت الطائرات المروحية تحوم على رؤوس المجاهدين وتعطي علامات دخانية لتحديد مكان المجاهدين ، وكان حال المجاهدين في غاية من الإرهاق والجوع فلأكثر مـن ٤٠ سـاعة لم يناموا بسبب الأحداث التي اعترضتهم طوال الطريق وعند دخول الظلام ألقى المجاهدون بأنفسهم على الأرض والثلج وناموا وملابسهم مبللة وحالهم لا يعلمها إلا الله ، فلا تنظر إلى أحد منهم إلا تجد عيناه منتفختان لعدم النوم وشدة البرد ، وتراه يتألم من الجوع قد ذهبت منهم حيوية الشباب بعضهم يحمل العصا كما لو كان عمره ناهز المائة ، قد انحنى ظهره ، وانهدت قوى بدنه وتغير لون وجهه وطال شاربه ، وغطى شفتيه .. حالته تُبكي من يراها لأول وهله ، ولكن القلوب ملأهـا الإيمان بأن الفرج لا شك قريب ..

وأثناء ذلك الوضع وقع موقف يدعو للتأمل .. فبينما أحد الأخوة أصابه من الجهد مـا لا يعلمه إلا الله مما حدا به أن يتوكأ على عصاتين من شدة ما به ، إذ مرّ به أحد الأخوة ( وكان هذا الأخ في طبعه دعابة وطرفة )فقال للأول : لو أخذت عصا ثالثاً على ظهرك احتياطا لما معك لـو انكسر أحدهما ، فنظر له الأول وغضب عليه وانهدت قواه وتأثر من هذا القول ، وعلـى كـل حال فقد أشعل المجاهدون النيران وباتوا ليلة قاسية ..

وفي اليوم الثاني من أيام وادي الموت عند شروق الشمس ضـجت الـسماء بالطـائرات المروحية ، فقد عرفت أماكن المجاهدين من اليوم الأول واقترب الطيران لمسافات قريبة جداً مـن فوق رؤوسنا ، فأخذنا نجري يميناً ويساراً كلٌّ يتمسك بأصل شجرة وحاله في أسوأ حال ، عـلاه الزفير والشهيق جف لعابه ، وأصابه الهلع وهو يرى الطيران يقترب وطاقم الطائرة يوجـه بيـده

نحوه ، وكان ارتفاع الطيران لا يتجاوز ٦٠ متراً من فوق الشجر ، وأخذ الطيران يـدور علـى رؤوسنا ، فلما ذهب الطيران للتزود بالوقود تحركت قوافل المجاهدين إلى أعلى الغابة باتجاه الجبال الجنوبية للغابة ، ولما رجعت الطائرات ولم تجدنا في أماكننا فجن جنونهم فجابوا الغابة كلها طـولاً وعرضاً ، والغابة واسعةٌ جداً وبعد طيران مكثف ، ومنخفض جداً عثروا على آثـار لنـا قـد سلكناها للخروج من الغابة ، فبدأ القصف الشديد ، وقتل في ذلك القصف ٤ مجاهدين نسأل الله أن يتقبلهم ، فلما وصل المجاهدون أعلى الغابة أخذوا يساراً إلى شرق الغابة ، فلما وصلوا إلى نهر شرق الغابة وجدوا جاسوساً خلف الشجر يصحح للطيران الرماية وهو رجل كبير ذو لحية بيضاء يرافق المجاهدين في الطريق فأخذوه ، و ذبحوه وأخزى الله الظالمين وضاعت معلوماتهم فلم يعرفـوا بالتحديد مكان المجاهدين ، ولا يستطيعون إدخال جنودهم إلى الغابة ، لأنهم يعرفون مـن هـم المجاهدون .

وبعد ما تجاوزنا النهر أخذنا يساراً إلى شمال الغابة واقتربنا من قرية ديسي خوتي التي خاف الروس من أن يدخلها المجاهدون ، وقبل القرية بـ ٢ إلى ٣ كم توقفت القافلة وباتت لليلة الثانية في تلك الغابة التي حوصرت بـ ٣٠٠ دبابة ، عدا الأسلحة الأخرى بما فيها الطيران .. وكـان الوضع غير جيد والهواء بارداً والأرض مبللة ، والحال لا يعلم بها إلا الله سبحانه ..

وعند الفجر جاءت الأوامر بالرجوع من نفس الطريق إلى مكان آخر داخل الغابة فأصبح الوضع صعبا على الروس فلم يعثروا على مكان المجاهدين ، وتوزعنا بين الأشجار يطوي الجـوع بطوننا ، وبقينا تحت الأشجار حتى الليل وبتنا الليلة الثالثة في الغابة المحاصرة .

وفي صباح اليوم الرابع الجمعة ٢٨/ذو القعدة ١٤٢٠هـ الموافق ٢٠٠٠/٣/٤م غيرنـا مواقعنا وتركز القصف علينا بشتى الأسلحة من البر والجو ، وقتل أحد الأخوة في ذلك القـصف وجرح آخرون ، وفي ذلك اليوم لم نجد طعاما فذبحنا أحد الخيول وكان نصيب الواحد منا قـدر أصبعين من اللحم لا يسمن ولا يغني من جوع ؛ سوى إسكات ألم البطن وسد الرمق ، وانطلـق الكثير منا للبحث عن الحشائش الصغيرة التي تحت الثلج لنأكلها حتى أحرقت بطوننـا ، وكـم ذرفت العيون دموعها ؟ وكم رفعت الأكف إلى الله ليفك عن المجاهدين ما هم فيـه ؟... حقـا كانت أربعة أيام عمّت فيها الأمراض ، وزادت الجراح ، وكان بعضنا يضع كما تضع الـشاة ، وتقرحت الأقدام ، فكان أحدنا ينـزع الخف ويخرج مع الخف جلده ، فيبكي كالطفل من شدة الألم ، وضاقت الدنيا على المجاهدين ، فجميع اتجاهات الغابة محاصرة والقصف مستمر ، والجراح تزداد يوما بعد يوم والطعام غير متوفر ، والحصار يشتد فلا إله إلا الله وحده ، فلم يبـق أمـام

المجاهدين سوى الاستعداد للقاء الله بالقتال حتى الموت ، فلم يكن هناك أي أمل بالخروج إلا إذا أراد الله .

وبعد المغرب من يوم الجمعة – أي الليلة الرابعة – تحركنا إلى أسفل الغابة باتجاه الشمال لكي نخرج من ذلك الحصار ، فجزى الله الأمراء خيراً فقد رصدوا الطريق جيدا وكم سهروا وتعبوا ليفكوا الحصار عن إخوانهم ، وكان الفضل لله وحده ثم للأخ خطاب الذي أرسل الأخ أبا ذر الطائفي ومن معه ، فهم الذين رصدوا طريقا للخروج آمنا من الكمائن ، وكم كانت الفرحة كبيرة في نفوسنا حين سمعنا صوت أبي ذر في جهاز اللاسلكي يخبر القادة بوجود الطريق ، فنزلت القافلة حتى نهاية الوادي ، ثم اتجهت يسارا تصعد تارة وتهبط تارة أخرى حتى خرجت من نفس الطريق الذي دخلت منه إلى وادي الموت ، وقد انسحب الروس من هذا المكان بعدما قتل الله القوات الخاصة كلها هناك وسبق أن أشرنا لطريقة قتلهم .

وعند الخروج من الحصار كان القصف يأتي متفرقا على جنبات الطريق ، والطريق شديد الوحل أنهك ما تبقى من قوى في الأجسام ، واستمرت القافلة تسير على رأس الجبل الذي كان فيه الإنزال حتى وصلنا مكان المعركة الأولى التي قتل فيها القائد عبد الصمد الطاجيكي ، ثم انحدرنا يمينا حتى دخلنا أحد الأودية وكان سيرنا طوال الليل من المغرب حتى الفجر ، ثم بتنا في هذا الوادي طيلة يومنا متعبين ، وبعد صلاة المغرب تحركت القافلة من الوادي إلى النهر ، ثم دخلت القافلة في واد طويل ووعر ، ونزلت القذائف المدفعية على بداية الوادي وسلم الله المجاهدين من شرها ، وكان ذلك بعد صلاة المغرب من يوم السبت ٢٩/ذو القعدة ١٤٢٠هـ الموافق ٥/٣/٢٠٠٠م ، ويعرف هذا الوادي بوادي الخوف ، وسنعرض له في الفصل السادس .

فوائد وعبر :

١– مزاح أحد الأخوة مع الآخر المتعب سبب له ألماً في نفسه وعكر صفوه وهد من قواه ، وكان الأخ الذي مازح أخاه بكلمات ظن أنه بذلك سيخفف على أخيه تلك الآلام فأراد أن يضحكه ولكن جاء الأثر على خلاف ما توقعه ، لذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم كما روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهم قال ( لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدة فتخلفه ) فالمزاح ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم يمازح أصحابه والصحابة يتمازحون فيما بينهم ، ونهي الرسول صلى الله عليه وسلم هنا ليس نهياً مطلقاً .. ولكن كما قال العلماء أنه نهي عن المزاح الذي يحدث عواقب سيئة ويفضي إلى هتك عرض الأخ وإيذائه سواءً كان باليد وهو الأغلب أو باللسان فالمزاح بين الأخوة له أوقاته وحدوده وكما قال بعض العلماء : إذا أردت أن

يقل ود أخيك لك فأكثر المزاح معه بيدك . فنقول لكل أخ إن المزاح له حدود وأوقات فتحيَّن أوقاته ، والتزم حدوده حتى لا يفسد القول أو الفعل وُدّاً بناه الزمن .

٢- كان تحرُّكنا والخروج من الحصار إلى أعلى الغابة في وقت لم يكن يتصوره العدو ، وجاء ذلك التحرك السريع اغتناماً لفرصة لم يكن بالحسبان أنها فرصة لولا الله ثم معرفة القادة بوقت تزود الطائرات بالوقود ، وهذا راجع كما أسلفنا في فائدة مضت على حسن دراسة أسلحة العدو وأساليبه ، فكان اغتنام الفرص عاملاً مهماً من عوامل المبادرة فيجب على المجاهد اغتنام الفرص وقت تمكنه منها وكلما كان اغتنام الفرص سريعاً ومفاجئاً كان أثره على العدو أكبر ولا يمكن اغتنام الفرص حتى يكون المجاهد وصل قدراً عالياً من النباهة والشجاعة لاتخاذ المواقف السريعة وهذا بالطبع لا يأتي إلا بتوفيق الله وحده ، وبالتعلم والإصرار .

٣- لما خرجنا من الغابة لم يستطع الروس معرفة أين نحن إلا بعدما تتبعوا آثارنا ، وهنا نلفت الانتباه إلى أن الآثار سواءً أثار الأقدام أو المخلّفات أو النيران التي يخلفها المجاهد في مكان بقائه كلها عبارة عن أدلة تحدد عدد مجموعته ومدة مكوثه ، وقبل كم كان في ذلك الموقع ، وماذا كان يستخدم ، وحتى بعض أحواله الخاصة ونوع طعامه أيضاً ، وحالته الصحية لو حلل العدو فضلاته ، وربما عَرَقه البشري مع تقدم التكنولوجيا وما يعرف بالحمض النووي ، وانظر إلى أبي سفيان لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة يريد عير قريش ، وكان أبو سفيان قائد العير وكان حذِراً يخشى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرصد الطريق ، وأنكر في طريقه مناخ راحلتين رآه فأخذ من المناخ بَعْرة وفتّها فوجد بها نوى ، فعلم أن الراحلتين لرجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لأن أهل المدينة هم الذين يطعمون الإبل النوى لكثرة التمر عندهم ، فغيَّر مسار قافلته وأرسل نذيراً ينذر قريش ليخرجوا ويحموا قافلتهم ، فانظر كيف استطاع أبو سفيان أن يتجنب الخطر من بعرة أخذها من الأرض وعرف ما بداخلها ، فحلَّل تلك المعلومات البسيطة وربطها بوضعه ونجا من الخطر .

والمجاهد ينبغي أن يكون على قدْرٍ عالٍ من تخفية الآثار والتعتيم على العدو ، ولا بد أن يكون له طرقاً وقائية يظلل بها العدو ويجعل آثاره التي لا يستطيع إخفاءها تدل على خلاف واقعه ويجتهد في ذلك ، كما ينبغي عليه أن يكون نبيهاً في تحليل كل أثر يمر به وكل ظاهرة يشاهدها ، فانظر إلى النفر من قبيلة جرهم كما في الصحيحين لما مروا بجانب بئر زمزم وهم لم يكونوا يعلمون أن في مثل هذا المكان ماءً رأوا طائراً عائفاً يدور في السماء فقالوا ما يدور هذه إلا على ماء ، وعهدُنا بهذا الوادي ليس فيه ماء ، فاقتربوا فوجدوا هاجر وابنها عليه السلام على بئر زمزم ، فانظر كيف يتوصل المرء النبيه إلى ما يريد بتحليل الظواهر المحيطة به ، فكن على نباهة وتعوَّد

تحليل كل ما يحيط بك ، واربط كل معلوماتك بعضها ببعض لتخرج بفائدة من كل شيء ، وما العلم إلا بالتعلُّم . والله الموفق .

٤- لا بد أن يحرص المجاهدون على تصفية صفوفهم ، فالجاسوس الذي رافق المجاهدين كاد بتصحيحه لرماية العدو أن يودي بحياة الجميع بعدما دل الروس على مواقعنا في السابق ، وتسبب في قتل عدد منا ، وحينما علم المجاهدون به وأقر بجريمته قُتل . وقَتْل الجاسوس الحربي جائز بالإجماع ، وإذا كان الجاسوس ذمياً أو معاهداً فالجمهور على جواز قتله ، وإذا كان الجاسوس مسلماً فقال مالك والقاضي عياض بقتله . والجمهور على تعزيره ويقول ابن القيم في الطرق الحكمية ١١٧ " هل يجوز أن يبلغ التعزير القتل ؟ فيه قولان : أحدهما : يجوز كقتل الجاسوس المسلم إذا اقتضت المصلحة قتله ، وهذا قول مالك وبعض أصحاب أحمد واختاره ابن عقيل " وقال في زاد المعاد ٤٢٣/٣ " والصحيح أن قتله راجع إلى رأي الإمام فإن رأى في قتله مصلحة للمسلمين قتله ، وإن كان استبقاؤه أصلح استبقاه والله أعلم " ، والمسألة فيها تفصيل يطول وتفريق بين الجاسوس الحربي والجاسوس الذمي والجاسوس المسلم ، والراجح في كل هؤلاء هو أن يرجع الحكم فيهم إلى الأمير يفعل بهم ما تمليه المصلحة ، وهو أنفع للمجاهدين وحكمه كالأسير . وهؤلاء الجواسيس لا بد ألاّ يغتر أحد بمظاهرهم ، فقد أرسلت قبل ذلك الاستخبارات الروسية عدداً من جواسيسها يبلغون أكثر من خمسة وثلاثين شخصاً دفعة واحدة ، وقد كان عددٌ كبير منهم يصوم النهار ويقوم الليل ، يحقر أحدنا عمله إلى أعمالهم ، إلا أن الله حفظ المجاهدين منهم ، وتم كشف أمرهم رحمة ، فأعدموا جميعاً ، فمتابعة الصف وتصفيته أمر مهم يلقى على كاهل القادة لحفظ أرواح المجاهدين .

وهذا الجاسوس الذي أصدر القادة الأمر بقتله قُتل لسببين :

الأول : لأنه جاسوس وقتله جائز إن كان في ذلك مصلحة متحققة يراها القادة .

والسبب الثاني : وهو الأهم ؛ لأنه شريك بالقتل فهو مشترك بالجناية التي راح ضحيتها عدد من المجاهدين بسبب القصف الروسي الذي يتم تصحيحه عن طريق هذا الجاسوس فجاء قتله لاشتراكه في قتل المجاهدين والله أعلم .

٥- إن ما أصابنا خلال الأربعة أيام الماضية فرحنا به وجاء فرحُنا بعد أن أنجانا الله منه وذقنا طعم الراحة وشبعت بطوننا ، فلما مر التمحيص وتجاوزنا الصعاب فرحنا به أشد الفرح ، ورجونا من الله أن لا يضيّع أجورَنا ، فقد تذكّرنا في ذلك الوقت ما أصابَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يوم حُصر في شعب أبي طالب من قِبَل قريش الذين قاطعوه وحاصروه هو وأصحابه وبني هاشم وبني المطلب بأطفالهم وعجائزهم وشيوخهم وأزواجهم لمدة ثلاث سنوات ، أكلوا

خلالها الجلود ، ووضعوا كما تضع الشياه ، ولا يصل إليهم شيء من الأكل إلا سـراً في خفـاء حتى ساءت صحتهم ، وبليت ملابسهم وجفت أثداء النساء من الجوع والعطـش فلـم يـشبع الرضع ، وشحبت الوجوه وذوت الأبدان وذبلت الأعضاء ، وكان رسول الله صـلى الله عليـه وسلم يمر بينهم وهو يحمل أضعاف ما يحملون فيرى فوق هذه البطون الخاوية صدوراً عامرة ممتلئة بالثقة بالله حتى فرج الله عليهم . وتذكّرنا أيضاً سرية أبي عبيدة رضي الله عنـه كمـا جـاء في الصحيحين عن جابر رضي الله عنه قال ( بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمَّر علينـا أبـا عبيدة نتلقى عيرا لقريش وزوَّدنا جرابا من تمر لم يجد لنا غيره ، فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمـرة قال : فقلت : كيف كنتم تصنعون بها ؟ قال نمصها كما يمص الصبي ، ثم نشرب عليها من المـاء فتكفينا يومنا إلى الليل ، وكنا نضرب بعصينا الخبط ثم نبلّه بالماء فنأكله )

وتذكّرْنا ما جاء في الصحيحين أيضاً عن سعد رضي الله عنه قوله ( والله إني لأول رجل من العرب رمى بسهم في سبيل الله ، ولقد كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لنا طعـام نأكله إلا ورق الحبلة وهذا السَّمُر ؛ حتى إن أحدنا ليضع كما تضع الشاة ، أو قـال : حـتى إن كان أحدنا ليضع كما تضع العنـز ما يخلطه بشيء ) ، فإن كان ما أصابنا لبضعة أيام فقد هـان علينا لما تذكرنا ما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لسنين ، فلم يَهِنُوا ولم يحزنوا ، ولم يَكِلُّوا أو يَمَلُّوا ، بل ما زادهم ذلك التمحيص إلا شدة ومواصلة على الطريق ، فمن اقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم فيجب عليه ألا يحزن ولا يَهِن على ما يصيبه ، وليواصل طريقـه ويزداد شدة كلما زاد الله له في البلاء ، ولا يكون كمن قال الله فيه ( ومن الناس من يعبـد الله على حرف فإن أصابه خير أطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الـدنيا والآخـرة ذلك هو الخسران المبين ) فهذا الدين عظيم يحتاج إلى رجال عظام ليحملوه ويبلغوه وينافحوا عنه ، أما أنصاف الرجال الذين يحسبون كل صيحة عليهم فلا يصلح لهم هذا الدين ليبلغوه وينافحوا عنه .

٦- من الملاحظ أننا لم نكن نسمع المكالمات بين القادة ومجموعات الاستطلاع ، ولم نكـن نعلم بالمحاولات التي يجريها القادة للخروج بنا من بعض المواقف الصعبة ، ولكننا سمعنا صوت أبي ذر يوم نادى القادة بالجهاز وأخبرهم عن وجود طريق نخرج منه خارج وادي الموت ، وأظـن أن القادة وخاصة القائد العام كان حريصاً على ألا يصلنا أي خبر عن تفاصيل محـاولات الخـروج وخاصة المحاولات الفاشلة وقصده في ذلك ألا يفت في أعضادنا ويحبط نفسياتنا ، وكـان هـذا الفعل منهم حقاً فعلاً رشيداً اقتدوا فيه بسيد الأولين والآخرين ، ولم يُسْمِعونا إلا الأخبار السارة والبشرى الحسنة ، اقتداءً برسول الله صلى الله عليه وسلم حينما جاءه وهو في غزوة الخندق خبرُ

نقض قريظة للعهد ، فأرسل لهم رجالاً يستطلعون الأمر وعلى رأسهم سعد بن معاذ وسعد بن عبادة سيدا الأوس والخزرج ، وقال لهم ( انطلقوا حتى تنظروا أحقٌّ ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا . فإن كان حقا فالحنوا لي لحنا أعرفه ولا تفتّوا في أعضاد الناس ، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس ) فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم ، ونالوا من رسول الله وقالوا : لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد ، فشاتمهم سعد بن عبادة وشاتموه – وكان رجلا فيه حدة – فقال له سعد بن معاذ : دع عنك مشاتمتهم فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة . ثم أقبل سعد وسعد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه ، ثم قالوا : عضل والقارة ؛ أي الخبر مشؤوم كخبر عضل والقارة الذين غدروا بأصحاب رسول الله أصحاب الرجيع خبيب بن عدي وأصحابه . فقال رسول الله ( الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين ) ، وكان يريد من ذلك عليه الصلاة والسلام ألا يحبط معنويات أصحابه إذا علموا أن بيوتهم مهددة من الداخل أيضاً والمدينة مهددة من الخارج عن طريق الأحزاب .

ورفْع معنويات الجنود بعدم إيصال الأخبار السيئة أمر مهم جداً ينبغي على القائد الحرص عليه ، مع مراعاة ألا يكون دأب القائد التعتيم على جنوده دائماً بحجة عدم إحباط معنويات الجنود ، ولكن بحنكة القائد يعرف متى يوصل الأخبار السيئة للجنود ومتى يحجبها عنهم ، وإن كان بشكل عام ينبغي على القائد أن يُطلِع الجند على جميع الأخطار التي تحيط بهم ، ولكن إذا سمح الوقت والوضع بذلك والله أعلم .

## الجزء السادس

بعد الخروج من النهر اتجهت القافلة يمينا إلى وادي الخوف الذي يبلغ طوله حوالي ٢٠كم تقريبا فمنذ أن دخل المجاهدون الوادي بدأ القصف عليهم بمدفعية الهاون ، وكان بعضها يأتي قريباً من المجاهدين ولكن الله يحرسهم ويرعاهم ، وواصلت القافلة سيرها في الوادي حتى منتصف الليل .. والطريق صعب ووعر ، وفيه أنهار صعبة العبور ، وقبل أن نستريح كان علينا أن نجتاز النهر الذي يقع في وسط الوادي وهو يجري بسرعةٍ عالية ، وازدحمنا في هذا المكان وسقطت الخيول فيه وماتت ، كما سقط القائد شامل في النهر هو والفرس التي كانت تحمله لأنه مصاب ، وفتح جرح ساقه المبتورة ، ولكنه ثابت ثبوت الجبال الراسيات يصبّرنا ويحثنا على السير ، ويقوِّي عزائمنا ، ثم سقط شيخنا الفاضل أبو عمر السيف حفظه الله ، وكان الوضع صعبا للغاية .. وبعد النهر استراح المجاهدون إلى الفجر ثم واصلوا طريقهم في الوادي ، وكانت الحركة بطيئة وصعبة لوعورة الطريق ولحركة الطيران الذي يبحث عن المجاهدين ، وسارت القافلة في هدوء تام يوحي بالخوف .

وقبل المغرب من يوم الأحد ٣٠/ذوالقعدة ١٤٢٠هـ الموافق ٦/٣/٢٠٠٠م صعد المجاهدون يسارا إلى جبل عال يشرف على الوادي ، وهناك أدى المجاهدون صلاتي المغرب والعشاء ، ثم نزلوا يسارا إلى أسفل الجبل من الجهة الأخرى ، وكان النزول بحذر شديد . فلما وصلت أسفل الجبل دخلت في أرض مفتوحة يراها الروس ، وفي هذا المكان تجلت كرامة من الله للمجاهدين ، فقد كانت السماء صافية وإذا بالضباب ينزل فجأة ، ويغطي جهة الروس فقط فلم يستطيعوا رؤية الطريق وأخذ الله أبصارهم ، حتى إني رأيت ذلك المنظر وأخذتني الدهشة ، فالضباب يغطي مواقع الروس في منتصف الجبل فقط ، وأعلى الجبل وأسفله لا يوجد عليه ضباب ، ولما رأيت ذلك على الرغم من شدة ما بي إلا أني جلست مقابل الجبل أتأمل تلك الكرامة ، وأحمد الله ريثما تعبر القافلة فلله الحمد والمنة .

واصلت القافلة انحدارها في أرض شديدة الوحل فترى الواحد منا يقوم تارة ويسقط على الأرض تارة أخرى ، حتى دخلنا مزارع شديدة الوحل ومشى كثير منا بلا حذاء على الماء والحجارة والشوك والثلج إلى أن وصلنا قرية تاوزني ، وكانت أول قرية ندخلها منذ بداية المسيرة أي منذ خمسة عشر يوما تقريبا .

## قـــريـــــة تاوزنـــــــي:

دخلنا إليها الساعة ١٢من ليلة الإثنين ١/ذو الحجة ١٤٢٠هـ الموافــق ٢٠٠٠/٣/٧م وكان الأمراء جزاهم الله خيرا قد رتبوا أمر الأكل وغير ذلك ، وبقي المجاهــدون في القريـــة ولم يدخلوا البيوت إلا القليل منهم . وفي الفجر أمر القائد العام خطاب بالخروج من القريـــة ، لأن الروس سوف يحاصروها إذا علموا بوجود المجاهدين فيها وقــد كـــان اســتقبال أهــل القريـــة للمجاهدين عجيباً ؛ حيث خرجوا لهم بالطعام والشرب ، بل وفتحوا أبواب بيوتهم للمجاهــدين للنوم والاستحمام والإستراحة ، مما كان له الأثر في رفع معنويات المجاهدين .

ثم تحرك المجاهدون إلى أعلى القرية لمواصلة المسيرة ولكن الصبح قــد أســفر ولا يمكننـــا الخروج لأن الطريق مكشوف للروس وهم قريبون منه ، فرجعنا إلى بيوت مهجــورة في بدايـــة القرية ، وبقينا طيلة يومنا نأكل ونشرب حتى جن الظلام ، وجاءت الأوامر بأن نتجمــع وســط القرية استعدادا لمواصلة المسيرة ، وفي الساعة الواحدة ليلا تحركنا خارج القرية حيث صعدنا إلى التبَّة المشرفة على القرية ، ثم نزلنا إلى واد صعب المسالك وسرنا في صعود وهبوط ولمسافات غير طويلة ، ثم استرحنا بعد الفجر من يوم الثلاثاء ٢/ذوالحجة ١٤٢٠هـ الموافق ٢٠٠٠/٣/٨م ، وأكلنا وشربنا فقد أخذنا درسا في الأيام السابقة فحملنا معنا من الطعام ما استطعنا حملــه ، وفي أثناء خروجنا من القرية ظل أحد الأنصار الطريق فذهب باتجاه الروس ؛ حيث كانوا قريبين منـــا جداً فلما اقترب منهم وهو ينظر إلى الكشاف يظن أنهم المجاهدين صاح أحدهم عليـــه ، وقـــال بالروسي تعال هنا ، ففزع الأخ وعرف أنهم الروس ، وكان بينه وبينهم أمتاراً قليلة فرجع مسرعاً من حيث أتى حتى لحق بإخوانه ، وأعمى الله أعين الروس عن تتبعه أو اللحاق به !!

وبعد الظهر من نفس اليوم نزلنا إلى أسفل الجبل ، ثم صعدنا إلى جبل عالٍ جداً يُعرف بجبل مشتاق ، واثناء الصعود تعب أكثر المجاهدين وصاروا يشربون الماء من الطرق كيفما وجــدوه ، وهو الأمر الذي أدى إلى إصابتهم بأمراض كثيرة منها الإسهال ، ولما وصلنا راس الجبل سرنا في خط مستقيم على رأس الجبل إلى أن أظلم علينا الليل ، وبتنا مرهقين متعــبين وبــدأ القــصف بالدبابات على الجبل عشوائياً ، ولم يصب أحدٌ منا ولله الحمد والمنة .

وفي صباح اليوم التالي الأربعاء ١٤٢٠/١٢/٣هـ الموافق ٢٠٠٠/٣/٩م تحركت مجموعة إلى الأمام لمسافة ٤ كم ، وبعد صلاة العصر من هذا اليوم تحركت باقي المجموعات حتى لحقــت بالمجموعة الأولى ، ثم انحدرت قليلا إلى أرض مستوية صلينا هناك المغرب والعشاء ، وبتنا هناك إلى الفجر . وفي فجر الخميس ١٤٢٠/١٢/٤هـ الموفق ٢٠٠٠/٣/١٠م تحركنا إلى أسفل الجبــل

نتوقف أوقاتا ونمشي أوقاتاً أخرى ، ولما وصلنا أسفل الجبل انتظرنا حلول الظلام لكي نقطع النهر الطويل الذي عُرِف بنهر الألم ، وسنعرض له في الفصل القادم .

فوائد وعبر :

١- إن كلمات قالها لنا القائد شامل يصبرنا فيها بعدما سقط في النهر ونزف جرحه إنها لكلمات أحيت نفوسنا وشحذت هممنا ، وما ذلك إلا لأننا كنا نرى أن القائد شامل أكثرنا مصاباً ، فالنصيحة والتصبير يوم تأتي ممن يرى المرء أنه في حال أشد منه بلاءً يكون لها وقع في النفوس ، فيوم تجد النصيحة من رجل يحثك فيها على الزهد وترك متاع الدنيا وأنت تراه وقد تفتقت عكن بطنه من الشحم وانغمس في نعيم الدنيا كيف يكون وقع هذه النصيحة والموعظة عليك ؟ فمن أراد أن تكون نصيحته ذات أثر على عباد الله فليكن أوَّلَ العاملين بها ، وإذا لم يعمل بها قبل الدعوة إليها فلا يحزن حينما يعرض عنه العباد ، وقد كان ذلك حال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معه كما روى الترمذي عن عن أبي طلحة رضي الله عنه قال ( شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حجرين ) وهذا الفعل منه صلى الله عليه وسلم يُسكِت من صعب عليه حاله ، فإذا رأى من هو أشد منه حالاً وأثبت منه خف عليه مصابه ، وكذلك نحن لما رأينا شامل أكثر منا مصاباً وهو يحثنا على الصبر ، زادنا ذلك صبراً وقوة ، فينبغي للقادة أن يدعوا الناس بأعمالهم وأحوالهم قبل أن يدعوهم بألسنتهم ، وفِعْل القائد والعالم له أثر في نفوس الأتباع أكثر من أثر الكلام والخطب الرنانة التي لا تترجم على الواقع . وانظر إلى حال الصحابة رضي الله عنهم عندما توانَوْا عن تنفيذ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم جزعاً مما حدث في صلح الحديبية ، فدخل على أم سلمة في خيمته فقال ( يا أم سلمة هلك المسلمون ، فقالت وما صنعوا ؟ فقال أمرتهم فما أطاعوا ، طلبت منهم أن يُحلُّوا فلم يفعلوا . فقالت رضي الله عنها : لو فعلت أمامهم لاتّبعوا ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلق رأسه ، ونحر هديه فتسابق المسلمون إلى ذلك محلقين رؤوسهم ومقصرين ، وكلٌّ يسرع إلى هديه ينحره ) فانظر كيف دعا الرسول صلى الله عليه وسلم بفعله ما لم يستجب له بلسان ؛ فعلى كل قائد متبع أن يكون أول العاملين لما يدعو إليه ، فإن ذلك له أثر عظيم في نفوس الأتباع . نسأل الله ألا يجعلنا ممن قال الله فيهم ( لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون ) .

٢- لقد أكرمنا الله في هذه المسيرة ورعانا وحفظنا فله الحمد والمنة ، ولما ألححنا عليه بالدعاء أخذ أعين الروس عنا وسلط عليهم الضباب ، فلم يستطيعوا رؤيتنا ، فالضباب أحد جند الله الذين سلطوا على الروس في تلك الفترة ولم نكن نحتسب ذلك أبداً ، ولكن فضل الله عظيم

وهو أكرم الأكرمين ، فهو الذي قال ( وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الـــذين لا يؤمنـــون بالآخرة حجاباً مستورا ) وذكر ابن كثير في تفسير هذه الآية " عن أسماء بنت أبي بكر رضـــي الله تعالى عنها قالت لما نزلت : ( تبت يدا أبي لهب ) جاءت العوراء أم جميل ولها ولولة ، وفي يـــدها فِهر ، وهي تقول :

مذمما أتينا        أو : أبينا ( قال أبو موسى : الشك مني )

ودينه قلينا

وأمره عصينا

ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وأبو بكر إلى جنبه ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : لقد أقبلت هذه وأنا أخاف أن تراك ، فقال : إنها لن تراني ، وقرأ قرآنا اعتصم بـــه منـــها ( وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا ) قال : فجـــاءت حـــتى قامت على أبي بكر فلم تر النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا أبا بكر بلغـــني أن صـــاحبك هجاني . فقال أبو بكر : لا ورب هذا البيت ما هجاك . قال : فانصرفت وهي تقـــول : " لقـــد علمت قريش أني بنت سيدها " .

ولا غرابة أن يأخذ الله أبصار الروس عنا فهو الذي قال ( وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون ) قال ابن كثير : " قال محمد بن إسحاق حدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب قال : قال أبو جهل – وهم جلوس – : إن محمـــدا يـــزعم أنكـــم إن تابعتموه كنتم ملوكا ، فإذا متّم بُعثتم بعد موتكم وكانت لكم جنان خير مـــن جنـــان الأردن ، وأنكم إن خالفتموه كان لكم منه ذبح ، ثم بُعثتم بعد موتكم وكانت لكم نـــار تعـــذبون بهـــا . وخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده حفنة من تراب وقد أخذ الله تعالى علـــى أعينهم دونه فجعل يذرّها على رءوسهم ويقرأ ( يس والقرآن الحكيم ) حتى انتهى إلى قوله تعالى ( وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون ) وانطلق رســـول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لحاجته وباتوا رصداء على بابه ، حتى خرج عليهم بعـــد ذلـــك خارج من الدار فقال : ما لكم ؟ قالوا : ننتظر محمدا . قال : قد خرج عليكم ، فما بقي منكم من رجل إلا وضع على رأسه ترابا ، ثم ذهب لحاجته . فجعل كل رجل منهم ينفض ما على رأسه من التراب . قال : وقد بلغ النبي صلى الله عليه وسلم قول أبي جهل ، فقال : " أنا أقول ذلـــك إن لهم مني لذبحا وإني لآخذهم " وذكر ابن كثير أيضاً في تفسير هذه الآية " عن عكرمـــة قـــال : قال أبو جهل : لئن رأيت محمدا لأفعلن ولأفعلن فأُنزلت ( إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا ) إلى قوله ( فهم لا يبصرون ) قال : فكانوا يقولون : هذا محمد ، فيقول : أين هو ؟ أين هو ؟ لا يبصره " .

وهذه آيات وآثار تدل على خذلان الله للكافرين وحفظه لعباده ومتى كان عندنا قوة يقين وحسن توكل وانقطاع لله وحده فإن الله سينصرنا من حيث لا نحتسب ، ولو لم نخش إلا الله لخافنا كل شيء ولحمانا الله من كل شيء نسأل الله رحمته وإحسانه .

٣ إننا يوم دخلنا قرية تاوزني وارتحنا فيها بعد عناء طويل أمرنا القائد العام بالخروج من القرية .. كل ذلك خشية أن يعلم الروس بنا فيحاصروا القرية ويؤذوا المدنيين ، فكان القادة حريصين على حياة المدنيين العزّل أكثر من حرصهم على راحة المجاهدين ، فالحفاظ على أرواح المدنيين كانت على قائمة المهمات التي يراعيها القادة . فهم على استعداد أن يتحملوا ويحملوا المجاهدين العناء بشرط ألا يتضرر مدني واحد ، وكان من أهم الأسباب التي تم تحويل أسلوب حرب المجاهدين من حرب نظامية إلى حرب عصابات هو الحفاظ على أرواح المدنيين ، وحتى لا يقصف الروس القرى التي يقطنها المدنيون .. فمن قال أن المجاهدين يتترسون بالمدنيين فهو عدو يردد ادعاء الأعداء ، ولم نشهد من القادة إلا الحرص على أرواح المدنيين ودينهم وأعراضهم وأموالهم ، فلله در أولئك القادة الذين يؤثرون على أنفسهم من أجل المدنيين العزّل عن السلاح

.٤- إن العاقل يحرص على أن يستثمر كل تجاربه ويوظفها في مصلحته ، فيوم لُدغنا بعدم حمل الطعام معنا أول المسيرة لأننا ظننا أن المسيرة ستستغرق أربعة أيام كالعادة ، استفدنا من ذلك الدرس وتزوّدنا من قرية تاوزني بأكبر قدر من الطعام استطعنا على حمله ، وما مرت بنا من تجارب نعدها غنائم غنمناها في حياتنا ، والذي يقدر قيمة التجارب وخبرة الحياة فإنه لا يزهد حتى بمجالسة كبار السن ليحدثوه بما مر بهم من تجارب ، وما كتب السير والتاريخ إلا دروس نتعلمها ونستخرج منها العبر ونظيفها إلى أرصدتنا ، ونظيف إلى أعمارنا أعماراً أخرى حينما نفقه خلاصة تجارب غيرنا .

فاحرص أخي الكريم على الاستفادة من خبرات غيرك وابدأ مما انتهى منه الآخرون والأحمق من بدأ مما بدأ به الأولون نسأل الله الهداية .

إقرأوا التاريخ إذْ فيه العِبَرْ * ظل قومٌ ليس يدرون الخبر

## الجزء الثامن

## نهـــرُ الألـــم

تعب أكثر المجاهدين من المسيرة السابقة ، وانتفخت أقدامهم ولكنهم واصـــلوا مـــسيرتهم مستعينين بالله ، أما بعضهم فقد حُملوا على الخيل بعد أن أصبح وضعهم متردياً جداً ، فقد مشى أحدهم على يديه وركبتيه على الثلج والطين من شدة الألم ، ولما وصلوا نهر الألم زادت الآلام فقد تبللت أقدامهم ودخل الماء إلى أحذيتهم ، وكنا نظنه نهراً واحداً ولكننا دخلناه ثم خرجنـــا منـــه ودخلناه مرة أخرى ، واستمر بنا الحال كذلك ، فإذا هي أنهار عديدة .

فلو كان سهماً واحداً لاتَّقيتُه * ولكنه سهـــــمٌ وثانٍ وثالثُ

فتجمدت أطرافنا ونحن على هذه الحالة لمسافة كيلو متر واحد تقريبا ، ثم صعدنا يميناً على تبَّة يمين النهر كانت بها مواقع للقوات الروسية ، وسارت القافلة بحذر شديد فالمكان مكـــشوف للروس ، ثم نزلنا يسارا إلى أن وصلنا للنهر مرة أخرى واجتزناه لمرة واحدة فقط ، ثم مـــشينا في أرض مفتوحة وقريبة جدا من الروس ، وكان لزاماً علينا أن نمر من تحت موقع الروس ، ولك أن تتخيل الصوت الذي تحدثه أقدام ١٢٠٠ مجاهدا تقريباً ، فوقعنا في حيرة من أمرنا ، إلا أن فـــرج الله كان أقرب لنا من كل شيء ، وفي هذه الأثناء تتجلى كرامة من الله للمجاهدين ، فقد هبـــت رياح شديدة ودافئة أحيت قلوبنا وشحذت هممنا مع أن الوقت شتاء وموسم لـــنزول الثلـــوج ، حتى لم يعد بوسع الواحد منا أن يسمع حركة الذي أمامه من شدة صوت الرياح ، وكان الروس يطلقون المضيء لكشف الحركة على هذا الطريق ، وكانت الرياح تلعب بالقنابل المضيئة في الهواء وتطفئها فسبحان من أعمى أبصارهم وأصمّ آذانهم .

ثم صعدت القافلة إلى أعلى الجبل ، وفي قمة الجبل لم يجد المجاهدون أثراً لتلك الرياح الـــتي هبت قبل صعودهم ، فلا إله إلا الله لما ابتعد المجاهدون من الروس انقطعت تلـــك الريـــاح !!! ، ورياح في أسفل الجبل لا يسمع لها حس في رأس الجبل !!! فلله الحكمة البالغة .

ثم واصلنا سيرنا على أرض طينية صعبة في رأس الجبل ثم انحدرنا في نهاية الجبل يسارا حـــتى دخلنا قرية تسئفيدنو قبل فجر الجمعة الموافق ١٤٢٠/١٢/٥هـــ الموافق ٢٠٠٠/٣/١١م كـــل ذلك بفضل الله وحده فله الحمد على جزيل النعم.

قرية تسئفيدنو:

كان الأمراء جزاهم الله خيرا قد رتّبوا أمر الأكل والمبيت فأكل المجاهدون واستراحوا قليلا ، ثم أمر القائد شامل بسايف بمغادرة القرية قبل أن يطلع الضوء ، فتحرك هو ومجموعته إلى قرية كرشلي ، وأما باقي المجموعات فبقيت وجلسوا فقط ليلة واحدة وفي الليلة الثانية تحركت مجموعة الأنصار على ثلاث مجموعات :

الأولى بقيادة ياسر السوري حفظه الله .

والثانية بقيادة أبو روضة المكي .

والثالثة المرضى الذين لا يقدرون على المشي .

فذهبت المجموعتان الأولى والثانية إلى كل من قرية كرشلي ثم شردي موخك وأخذت مجموعة المرضى وعددها ٦ أشخاص بالسيارة إلى قرية فيدنو مع أن الروس يسيطرون عليها .

مأساة المرضى أنهم كانوا في حالة يُرثى لها ، لا يستطيعون الذهاب لقضاء الحاجة فأقدامهم منتفخة ومتورمة فأخذهم أحد الإخوة الشيشانيين إلى فيدنو ، ووضعوا في بيت قريب من القاعدة الروسيةبـ ٣٠٠ م ، وأصبح وضعهم في غاية الخطورة ، فكانوا يقضون الحاجة في الغرفة التي ينامون ويأكلون فيها ، وبقوا على هذا الحال ليلتين ثم أخذهم هذا الشيشاني بالسيارة خارج القرية ، وفي أحد الأودية كانت تنتظرهم الثيران التي ستسحبهم بواسطة زلاجة على الثلج ، ونزلت عاصفة ثلجية وهم في الطريق فزادهم مرضا إلى مرضهم حتى وصلوا قرية آقش بتوي في الساعة الواحدة ليلا من ليلة الأحد ١٤٢٠/١٢/٧هـ الموافق ٢٠٠٠/٣/١٣م ، ودخلوا أحد البيوت إلى ظهر يوم الأحد ، ثم جهز لهم الإخوة جرارة زراعية تسحبهم بزلاجة على الثلج ، ثم وضعوهم فوق الزلاجة على شكل أموات ، وغطوهم بالعلف من فوقهم ، لأن الروس فوق الجبل سيرونهم . وكان هذا وسط ضحك من الأطفال والنساء والرجال ، فسحبتهم الجرارة إلى قرية كرشلي ، وهناك نزلت عليهم عاصفة ثلجية وهم تحت العلف فزادت من أمراضهم . وواصلت الجرارة سيرها حتى وصلت إلى قرية شردي موخك وكان في استقبالهم الأخ أبو جعفر رحمه الله الذي كان قد جهز لهم البيوت والأكل ، وكان الوصول إلى شردى موخك مغرب الأحد .

واستراحوا في القرية حتى الثلاثاء ١٤٢٠/١٢/٩هـ الموافق ٢٠٠٠/٣/١٥م فتحركت المجموعات القادرة على السير مع أبي جعفر إلى سرجنيورت وبقيت مجموعة المرضى والذين لم يقدروا على مواصلة السير في قرية شردي موخك .. هؤلاء فقط مجموعة الأنصار ، أما الشيشانيون فقد توزعوا في القرى بعد أن اضطروا لحلق لحاهم ، واستمرت مجموعة المرضى في هذه القرية حتى يوم الإثنين ١٤٢٠/١٢/١٥هـ الموافق ٢٠٠٠/٣/٢١م ، ثم أخذوا بالسيارة

إلى قرية بلقتوي ووصلوها يوم الإثنين ليلا فجلسوا هناك وأغدق الله عليهم من النعم العظيمة من الأكل والشرب والدفء والأمن ولمدة خمسة أيام فقط بالتحديد ..

يوم الجمعة ١٤٢٠/١٢/١٩هـ الموافق ٢٠٠٠/٣/٢٥م في المساء جاءت الأخبار بأن الروس قد اقتربوا من قريتي درقو و بلقتوي فأيقن المجاهدون بأن هذا ابتلاء من الله ، فتركوا وراءهم أكثر حاجياتهم وتحركوا الساعة ١١ ليلا ، وكان الجو صعبا للغاية فقد سقط الثلج وجاءت عاصفة ثلجيّة لم نر مثلها ؛ حيث أن الواحد منهم ما كان يستطيع فتح عينيه ليرى الطريق ، وفي هذا تكرمة من الله تعالى حيث أن هذه العاصفة محت أثر المجاهدين المنسحبين من القرية ، واستمروا في السير حتى وصلوا إلى ملتقى طريق كرشلي و سنتروي ، ثم واصلوا سيرهم حتى وصلوا قرية تزنكلى وكان وقت الوصول الساعة الثانية والنصف ليلاً والوضع صعب للغاية ، فالبيوت غير متوفرة ومعظمها مزدحم والآخر لا يوجد فيه تدفئة وتوزعت المجموعات في البيوت واستراحت حتى ظهر السبت ١٤٢٠/١٢/٢٠هـ الموافق ٢٠٠٠/٣/٢٦م ، وإذا بالأخبار تأتي بأن الروس نزلوا من الجبل المقابل للقرية وهم في طريقهم إلى القرية أفراداً فقط بدون آليات لأن الطريق غير جيد فتحرك المجاهدون ، للإنسحاب من خلف القرية وكان الطريق مكشوفا وفيه طين لا يمكن السير معه ، وأثناء السير في هذا الطريق جاءت طائرة مروحية على الطريق الذي يمر منه المجاهدون فتوزع المجاهدون بين الأشجار الصغيرة المتناثرة ، وكم كان الموقف صعبا فقد بلغت القلوب الحناجر وانهارت القُوى إلا عند من رحم الله ، لأن الطريق كان صعوداً و انزلاقات خطيرة ، وواصل المجاهدون صعودهم حتى دخلوا بين الأشجار المتناثرة وما هي إلا دقائق ، وإذا بالجنود الروس يمشون في القرية على بعد ٥٠٠م من مكان المجاهدين ، فسكنت حركات المجاهدين خوفا من القصف والطيران وبقوا هناك حتى المغرب ..

وبعد صلاة المغرب تحركوا إلى الطريق العام ثم ذهبوا يمينا في أراض وحلة ، ثم انحدروا إلى أسفل الوادي وكان أمير المجاهدين في هذه المسيرة الأخ أبو الوليد الغامدي حفظه الله ، ثم صعدت القافلة إلى قرية تزنكلى الثانية ، وكان حال المجاهدين يرثى له فملابسهم مبللة ومتسخة وكان الوصول إليها الساعة ١١ ليلا ، وناموا فيها حتى الساعة الثانية ليلا ، ثم خرجوا منها ومشوا حتى دخلوا إحدى الغابات ومكثوا بها إلى المغرب ثم تحركوا نحو الجبال يصعدون تارة ويهبطون تارة أخرى حتى دخلوا قرية جاني فيدنو صباح الثلاثاء ١٤٢٠/١٢/٢٣هـ الموافق ٢٠٠٠/٣/٢٩م ، وتوزعوا في البيوت المهجورة فالقرية مهجورة تماما ، ومكثوا إلى الأربعاء وصباح الأربعاء ١٤٢٠/١٢/٢٤هـ الموافق ٢٠٠٠/٣/٣٠م بدأت معركة جاني فيدنو وسنسوق تفاصيلها في الفصل الثامن .

## فوائد وعبر

١– لقد مشى الأخوة على أربعٍ من شد ما أصابهم ، وقد جلس أحدهم ومررت به وقال لي " ساعدني فقلت له استعن بالله وما بي جهد لمساعدتك ، وإن كنت تريدني أن أبقى معك حتى نقتل أو نموت معاً فعلت ، فلم يجب ومضيت ، فلما فقد الأمل توجه إلى الله يسأله العون فأعانه الله ولحق بي ، فانظر لهذا الضعيف وكلنا كذلك ، لما انقطعت أسباب البشر ووصدت أبوابهم طرق باب الكريم فأعانه وقيل: إن اليأس من البشر رحمة ، فلما توجه إلى الله وسأله العون أعانه ولما سألني العون لم يزد في طلبه مني إلا غماً ولكن العون بيد الله ، فمهما اشتد المصاب فمن الله الفرج وعنده العون وهو قادر على كل شيء ، وعليك أخي بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ( إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله ) فلو حققنا تلك الوصية لما أعجزنا شيء بإذن الله تعالى .

٢– لما انشلّ تفكيرنا عن طريقة نستخدمها لنسلك ذلك الطريق الذي يشرف عليه الروس وهو قريب منهم ، كان الفرج من عند الله وحده وأرسل لنا من جنده ما نجّانا به ، فكما أرسل لنا الضباب في المرة الأولى ، أرسل لنا الرياح في هذه المرة ، والرياح هي التي هزم الله بها الأحزاب ، والرياح أحد العوامل المعضلة للجيوش اليوم ، وأثرها واضح على جميع أسلحة الجيش الجوية والبرية والبحرية ، فقد أكرمنا الله سبحانه وتعالى بهذه الريح ونفعنا الله بها ، فعلى الرغم من أنها أخذت أبصار الأعداء وأسماعهم إلا أنها أيضاً أحيت قلوبنا وأفرحتنا وذهب عنا البرد بها بعدما تجمدت أطرافنا وأصابنا الضر ، فلله الحمد ، ما أرحمه بعباده الضعفاء !! وقد بكى بعضنا فرحاً بما رأينا وخاصة عندما صعدنا الجبل وتأكدنا أنها لم تهب إلا على تلك المنطقة التي عبرنا فيها فقط .. فإلى كل مجاهد نقول : اعلم أنّ من كان الله معه فإنه لن يُهزَم أبداً ، ولن يمسَّه الضُّرّ لقول الله تعالى في الحديث القدسي الذي رواه البخاري : ( وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه ) ولكن من يحقق شروط الولاية ( ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ) فنسأل الله أن يجعلنا من أوليائه ويرزقنا الإيمان والصلاح والهدى والغنى والتقى والعفاف والرضى .

٣– تصيب المرء أحياناً ظروفاً قاهرةً تجبره على اتخاذ مواقف في غاية الدقة والخطورة والمجازفة ، فتوجُّه المرضى إلى فيدنو وسكنهم قرب قاعدة روسية لم يكن ذلك بالخيار السهل عليهم ، ولكنهم واجهوا ظروفاً أجبرتهم على اتخاذ مثل تلك الخطوات ، فالمجاهد لا بد أن يتوقع أن يصاب بجميع الظروف وخاصة الصعبة منها ، ولكن الذي ينبغي عليه أن يدرسه جيداً ، هل

أعد لكل احتمال سيئ حلاً مناسباً له ؟ وهذه خطوة مهمة تكمن في وضع التوقعات السيئة خاصة ، على طاولة الدراسة ثم يقدم لكل توقع حلاً يتجنب فيه جميع الخسائر المتوقعة أو يخففها على أقل تقدير ، أما أن يقول ( اعقلها وتوكّل ) ولكل مقام مقال فهذا خطأ ، لأن الله يقول ( خذوا حذركم ) فأخذ الحذر يجب أن يكون مما حدث ومما يمكن أن يحدث فإذا بلغ أقصى درجات الحذر بعد ذلك يقول ( اعقلها وتوكّل ) ، لأن الذي كان يتوقع أمراً سيئاً ثم يُعِدّ له حلاً مقترحاً إذا اقتضى الأمر أن يستخدم ذلك الحل فإنه سيستخدمه بكل شجاعة وحزم واطمئنان وسرعة ، لأنه يعلم أنه لا خيار أمامه سوى ذلك الحل لمثل هذا الوضع الذي سبق دراسته ، والتفكير في حل الصعاب قبل الوقوع بها يخفف كثيراً من وطأتها لأنك ستفكر بالحلول في ظروف هادئة ، أما التفكير بالحل تحت ضغط الظروف الصعبة فإنه يشل التفكير ولا ينتج عنه إلا حلولاً خرقاء غالباً ، فاحرص أن يكون التفكير المسبق لمواجهة الظروف الصعبة ديدنك قبل أن تشرع في أعمالك والله وحده الحافظ والمعين .

٤- لقد اضطر بعض الأخوة لحلق لحاهم وهذا أمر تجيزه الأدلة الشرعية حينما يقتضي الأمر ذلك ، فإذا تعارضت مفسدتان ارتُكب أدناهما ، فمن شارف على الهلاك ووجد ميتة فيجب عليه أن يأكل منها نص عليه أحمد ، وقال مسروق : من اضطر لأكل الميتة فلم يأكلها فمات دخل النار ، والأخوة عندما تعارض أمنهم بوجود لحاهم قدموا أمنهم وحفظ أرواحهم وحلقوا لحاهم ، وكذلك فعل الرسول صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين حينما أذن لمحمد بن مسلمة أن يقول قول سوء في الرسول صلى الله عليه وسلم من أجل أن يقتل كعب بن الأشرف واستأذنه محمد بن مسلمة فقال : قل ، والقول ضد الرسول صلى الله عليه وسلم محرّم ولكن لما أصبح التوصل إلى قتل هذا الكافر بمثل تلك الخدعة أجازه الرسول صلى الله عليه وسلم .

وكذلك الخيلاء في الحرب لما كان التوصل إلى إغاظة الأعداء بالخيلاء أجازها النبي صلى الله عليه وسلم لأبي دجانة نكاية في الأعداء ، وحلق اللحية محرم ويجوز للمجاهد في حالتين : إما أن يكون وجودها يعرض روحه للخطر الأكيد فيجوز له حلقها بدليل جواز أكل الميتة ، وقول الله ( إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ) .. وإما أن يكون وجودها يعيقه عن تنفيذ أمر الله تعالى بقتل أعداء الله أو إقامة الجهاد ضدهم ، فيجوز ذلك بدليل قتل كعب بن الأشرف والخيلاء في الحرب والقواعد الشرعية والنصوص الأخرى تجيز ذلك ولا نطيل بذكرها ، ولكن الذي ينبغي التنبيه عليه أن إعفاء اللحية واجب وتبقى ذمة العبد مشغولة بإعفاء لحيته ، ولا يجوز له أن يتوهم العوارض ليحلق لحيته ، فإما أن يكون العارض أو الحال الذي يخافه متيقناً أو ليعلم أن ذمته

مشغولة بإعفاء لحيته فلا يجوز له بحال من الأحوال أن يترك ما تكون ذمته مشغولة به من أجل مصلحة أو خطر متوهم والله تعالى أعلم .

( الجزء الثامن )

# معركة جاني فيدنو

## منطقة درقو جنوب شرق الشيشان

### يوم الأربعاء ١٤٢٠/١٢/٣٠هـ الموافق ٥/ ٤/ ٢٠٠٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

معركة جاني فيدنو معركة أرادها الله وأدار رَحَاها ربُّ السماوات والأرض ، معركة لم يسبق لها التخطيط ولا الإعداد ، فأغلب من جاء إلى هذا المكان لم يأت ليقاتل بل جاء باحثا عن الراحة ، ولكنْ إذا أراد الله شيئاً فإنما يقول له كن فيكون ، فسبحان القائل : ( إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة و إن الله لسميع عليم ) الأنفال ٤٢.

بدأت المعركة صباح الأربعاء الساعة الثامنة صباحا حين دخلت شاحنتان وعربة مدرعة من نوع بتاير إلى القرية ..سمع المجاهدون صوت العربات فتناقلوا الخبر عبر جهاز اللاسلكي واستعدوا للمواجهة .

وأما الروس فدخلوا إلى أن توسطوا القرية ، وتوقفوا أمام البيت الذي فيه أبو الوليد مع ثمانية من المجاهدين وحاصروا البيت من ثلاث اتجاهات ، وتقدم قائدهم إلى البيت في غرور وسَفَهٍ .. وسنذكر رواية أبي الوليد الذي عاش الحدث نفسه فقد قال :

{ بعدما أغلقت الباب كان الخوف قد أخذني كل مأخذ فقلت : لا إله إلا الله لأني متيقن من الموت ..عندها اطمأنت نفسي وكأن الأمر مزاح .. ثم اتصلت بالأخ سهيل بعد أن تذكرت اسمه فقد نسيت اسمه من هول الموقف ، فأخبرته لكي يأتي ، لا ليفك عنا الحصار ولكن ليأخذ الجثث فقط حتى لا يأخذ

الروس الجثث ، لأن الموت قد أحاط بنا ، فالبيت محاصر من ثلاثة اتجاهات ، وأما الروس فقد نزل قائدهم كله غرور وسفه وكبرياء ، ومعهم مندوب محطة تلفزيون يصور ، وتقدم الروسي إلى باب المدخل وأشهر مسدسه ، وفتح باب المدخل بقوة وتقدم إلى باب الغرفة وفتحه بقوة وكنت خلف الباب مباشرة فوجدني في وجهه مباشرة فخاف وقال [سلموا أنفسكم وتذهبوا بأمان ولا نعمل لكم شيئاً ]فأجبته : لا تعملوا لنا شيء؟ فقال[ نعم ] ثم التفتّ إلى الروسي ، وفتحت سلاحي على وضع الفرد فصرخ الضابط قائلا [لا تطلق ..لا تطلق] فأطلقت عليه طلقتين الأولى جاءت في يده مع قبضة المسدس ودخلت بطنه والأخرى ، لا أدري أين جاءت فسقط على الأرض ، وكان بيني وبينه متر ونصف المتر ثم فتح الإخوة نيران أسلحتهم على باب المدخل ومن النوافذ على الجنود الروس الذين يحاصرون البيت .. وتقدمت لكي أكسر سور البيت من جهة اليسار فلما دنوت من الضابط الروسي وهو ملقى على الأرض حيث أني ظننته ميتاً ، فأطلق علي طلقة من مسدسه جاءت أسفل بطني ..وأحسست بألمها كالقرصة ، فأطلقت عليه في رأسه وأخذت المسدس منه وتقدمت خارج البيت ، وتبعني باقي الإخوة وكان كل من يخرج من الغرفة يطلق على رأس الضابط طلقة ، ولم يجرؤ الروس على اقتحام البيت ، أما أنا فظننت أن الإصابة خطيرة فجريت بسرعة نحو الغابة خوفا من أن أسقط في الطريق المكشوف ، ولا يستطيع الإخوة حملي ولما وصلت الغابة كشفت عن بطني فوجدت مكان الإصابة نقطة حمراء ، ولكني أحس بألمها وبقي ألمها لمدة يومين ، ثم اتجهنا صوب الجبال الجنوبية حتى صعدناها } .. انتهت رواية أبي الوليد بتصرف .

كانت هذه هي البداية الأولى لمعركة جاني فيدنو التي استمرت من الساعة٨ صباحا إلى الساعة الثالثة عصرا فبعدما خرج أبو الوليد كانت مجموعة سهيل حفظه الله قد تقدمت من خلف الروس و أرسل قتيبة مجموعتين : الأولى مع الزبير الدرقيني ، والأخرى مجموعة اليرموك والقرتشاي ، وحاصروا الروس من اتجاهين ، فدمر الأخ عبد الكريم الجزائري عربة البتاير ، وقتلوا مجموعة من الجنود الروس ، ثم انسحبت مجموعة سهيل إلى الخلف .. وتولت باقي المهمة مجموعة اليرموك ، فأحرقوا الشاحنتين ، وقُتل من الروس عددٌ لا بأس به وفر الباقي منهم إلى الشمال من الطريق العام ، وأوعز قتيبة الأمر لمجموعة اليرموك بتطهير المنطقة من الروس ، فتقدمت مجموعة اليرموك إلى الوادي وحاصروا من بقي من الروس وكان عددهم ١٢ جندياً فقال قائدهم : [ لا تسلموا أنفسكم ] وقتل نفسه وكان فيهم جريح فقتلوه وأخذوا العشرة الباقين أسرى ، ثم ذبحوهم في الطريق خوفا من أن يكشفوا مكان المجاهدين ، وكان قتيبة قد وزع المجموعات حسب الآتي :

بقيت مجموعة شامل شمال القرية .

ومجموعة كمال وعبد النور غرب القرية بعد نهر جومس .

وكان الروس قد أرسلوا تعزيزات مكونة من٧ آليات ، فتقدمت بين مجموعات المجاهدين المتخفية على جنبات الطريق عربتين من نوع بي إم بي وبتاير .. فضرب الإخوة عربة البتاير وغنموا الأخرى .. وكان الروس قد تركوها ومحركها يشتغل ، وقد جاء الطيران وأحرقها.. أما الباقون فقد تراجعوا إلى الخلف إلى فيدنو . وقد قُتل من الروس في هذه المعركة ما يزيد على ٣٥ روسياً فقط قرب بيت أبي الوليد ، أما في الأماكن الثانية فلم يعرف المجاهدون النتائج ..

وكان الروس قبل مصرعهم – كما حكى أهل قرية فيدنو – أنهم كانوا في حفل كبير بمناسبة انتهاء عملهم وتوديعهم فسوف يذهبون إلى موسكو فقلّدوهم الأوسمة والنياشين ، ولكن الله عاجلهم إلى جهنم وبئس المصير ..

هذا بالنسبة للروس ، أما عن باقي مجموعات المجاهدين فقد توزعت شمال القرية ثم انسحبوا نحو الجبال الشمالية الشرقية ، وقد قُتل في هذه المعركة ٦ من المجاهدين و٣ من الجرحى نسأل الله أن يتقبل القتلى وأن يشافي الجرحى وكان توزع المجموعات كالآتي:

مجموعة أبي الوليد انسحبت باتجاه الجبال الجنوبية إلى خرتشوي ثم فيدنو وتسئفيدنو ثم عادوا إلى كرشلي ، ثم إلى سنتروي بعد ١٢ يوما من المعركة .. والمجموعة التي يتقدمها أبو عامر حفظه الله فقد تقدمت شمال شرق الغابة حتى وصلت إلى الجبال الشرقية لجاني فيدنو على الطريق العام .. ومجموعة أبي روضة و قتيبة و سهيل جاءوا من الطريق العام حتى التقوا مع مجموعة أبي عامر عند المثلث الذي يربط كل من جاني فيدنو مع درقو وبلقتوي ثم تحركوا نحو الغابة الواقعة غرب درقو.. وتم النصر المبين في هذه المعركة والحمد لله رب العالمين .

بقينا في الغابة التي غرب درقو نهار الخميس ١٤٢٠/١٢/٢٥هـ الموافق ١/٤/ ٢٠٠٠م .. وقبل المغرب تحركنا على الطريق إلى أن وصلنا جنوب درقو ثم دخلنا أحد الأودية هناك وجلسنا فيه الجمعة ، وليلة السبت تحركنا خارج الوادي إلى قرية بلقتوي ، وعدنا إليها مرة أخرى وصباح الأحد ١٤٢٠/١٢/٢٨هـ الموافق ٤/٤/٢٠٠٠م

تجمّع أهالي القرية وطلبوا من المجاهدين مغادرة القرية لأن الروس كانوا قد هددوهم بقصف بيوتهم إذا دخل المجاهدون القرية ، فوزعهم القائد العام مجموعتين :

الذين سيذهبون مع القادة إلى العمليات .. والذين يحتاجون للراحة يبقون في أحد القرى ، فتحركوا على هذا التوزيع ، وانتهت مأساة المسيرة المؤلمة لتبدأ مسيرات لا تنقطع لتعود من جديد لنواصل معها مسيرة الجهاد . وكان الله غفوراً رحيماً .

فوائد وعبر :

١- لقد أصابت الأخ أبو الوليد طلقة في أسفل بطنه ولم تصبه بسوء ، وما ذلك إلا من الله ، وليس في ذلك غرابة فقد عشنا قصة أبي خبيب المدني رحمه الله عندما كان في أفغانستان ، وقد دخلت الطلقة من عينه وخرجت من قفا رأسه وأخرجت معها أكثر من أربعين جراماً من مخه ، ولما أسعفه الأطباء قالوا إن موته متيقن والمسألة مسألة وقت إلا أن يشاء الله ، ولكن الله شاء له الحياة ، ومع ذلك لم يمت الأخ وبقي حياً يرزق وعافاه الله وعاد بعد شفاءه إلى الجبهة ليقاتل الروس من جديد ، فقاتل في أفغانستان ، وانتهت القضية الأفغانية وتوجه بعدها إلى البوسنة ورزقه الله الشهادة هناك نسأل الله أن يتقبله ..

فمثل هذه القصص والأحداث ربما يستبعد العقل وقوعها إذا سمع بها لأول وهلة ، ولكن من رأى مثل تلك والمواقف يذهل ويعلم أن الأرواح بيد الله ، فمن كتب الله موته في يوم مات على فراشه ومن كتب الله له الحياة لم يمت ولو كان يخوض المعارك طوال حياته ، فهذا خالد بن الوليد رضي الله عنه يقود جيوش المسلمين في فتح العراق والشام وحروب الردة ومؤتة وبعد كل هذا يموت على فراشه وهو يقول ( أموت كما يموت البعير على فراشه فلا نامت أعين الجبناء ) ومات وفي جسمه ثمانين ضربة ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم ، فالأرواح بيد الله . وما أعظم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه الترمذي وأحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما : ( .. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف ) فلو اجتمعت جيوش العالم بكل أسلحتها وعتادها الحربي وسلاحها النووي لقتل رجل واحد لم يأذن الله له بالموت لم يقتلوه .. ومتى كانت هذه العقيدة تملأ قلوبنا فإن النصر سيكون حليفنا بإذن الله ، لأن الوهن سيُنزَع من قلوبنا ، والوهن هو حب الدنيا وكراهية الموت ... ولكن أنبه على أمر مهم في ذكر بعض الكرامات وهي .. أن لا يُكثر الأخوة من ذكر الكرامات ويكون ديدهم ذلك لا تكذيباً بالكرامات أو تقليلاً من شأنها ، ولكن من باب ماروى البخاري عن علي رضي الله عنه حينما قال : ( حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله ؟ ) فالإسهاب من ذكر الكرامات ربما يسبب استهزاء بعض ضعاف النفوس بمثل تلك الكرامات وتكذيبها واستحقار الدين وأهله ، وقد رأينا وقرأنا مثل ذلك ، لا سيما أن الكرامات تحصل لتثبيت من وقعت في حقهم .. ونحن ولله الحمد إذا حصلت لنا كرامة

فإننا نفرح بها ونشكر الله عليها ونزداد إيماناً مع إيماننا ، فالمقصود منها حصل وسُرَّت بها نفوسنا ، وتصديق الناس لها أمر ثانوي إذا جاء عرضاً ، فلا مانع منه وإن لم يحدث فلم نخسر شيئاً ، وليعلم الجميع أننا لم نذكر تلك الكرامات منفردة ، ولولا أنها أتت في سياق قصة ما ذكرناها لنكف عن أنفسنا ألسن السفهاء .

٢- كان الهمّ الذي يراود أبا الوليد بعدما أصيب في بطنه أن يسهل على الأخوة حمله ، لأنه يعلم أنه لو سقط في منطقة مكشوفة فإنه سيحمّل الأخوة مالا يطيقون من المخاطرة لسحب جثته ، فكان تفكيره في آخر لحظات حياته كما يتوقع أن يسهل على إخوانه .. ولو أن كل مجاهد فكر في عواقب الأمور و فكر بإخوانه قبل أن يفكر في نفسه لانتصرنا ، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتدي بأضعف القوم ، وإذا أراد أمراً نظر في حال أصحابه : هل يطيقونه أم لا ؟ ولذا كَمْ ترك عليه الصلاة والسلام من عبادة خشية أن تفرض على الأمة على الرغم من حب أصحابه لها كصلاة التراويح وغيرها ..

فالتفكير بحال الآخرين وعواقب الأمور يجعل من المجاهد أكثر اتزاناً في أفعاله وأقواله فما كل ما يصلح لشخص يصلح لغيره وما كل ما يطيقه شخص يطيقه الجميع ، فأكْثِر من التفكير بالآخرين ولا تحمّل من معك ما لا يطيقون ، والرسول يقول عن المتهورين كما جاء في الصحيحين عن سعد رضي الله عنه قال ( إن أعظم المسلمين في المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم على المسلمين فحرم عليهم من أجل مسألته ) والمقصود كما ذكر بن حجر في أنه يأثم إذا سأل عن أمر تسبب سؤاله بتضييق واسع على المسلمين أو ألحق ضراً بالمسلمين في أمر غير ملحّ لم يحمله على ذلك السؤال إلا التعنت ، فانظر أخي الكريم فيمن تسبب بضرر على المسلمين أو ضيق عليهم واسعاً حينما يتصرف تصرفات غير مسؤولة لا فائدة منها لا تعود عليه ولا على المسلمين إلا بالبلاء و لا تزيد المسلمين إلا أذى وتضررا ، فمن فكر بعواقب الأمور انطلاقاً من هذا الحديث فإنه بالتأكيد لن يقول أو يفعل إلا ما فيه مصلحة للجميع ، وما كان ضرره أعظم من نفعه على الإسلام و المسلمين فإنه يجتنب ، إلا أمراً يكون الله أمر به على الفور والله أعلم .

هذا ما يسر الله نقله من تلك المسيرة الشديدة البأس على المجاهدين ، وهذا ما يسر الله ذكره من فوائد وعبر لم نستوعبها كلها ، فلربما جاء من يستخرج من القصة فوائد وعبر لم تخطر لنا على بال ، فأفهام الناس ليست سواءً ، ولكلٍّ نظره وتقديره ولكن هذا ما يسره الله لنا فإن كان صواباً فمن الله وحده وإن كان خطأً فمن أنفسنا والشيطان .

ولربما سائل يقول : لماذا سقنا الفوائد والعبر ولم نسق السلبيات والأخطاء ؟ فنقول: إننا لا نعتقد أننا منزهّون عن الأخطاء والسلبيات ، ولقـد رأينـا بعـض الـسلبيات سـواءً علـى مستوى الأفراد أو القيادة ، ولكن لا فائدة للمسلمين من ذكر تلـك الـسلبيات أو الأخطـاء لأن المعنيين بهذه السلبيات والأخطاء هم أصحابها وبعد إسداء النصائح لهم تبرأ الذمـة ويحـصل المقصود ، ونشرها لا يفيد في إصلاحها أبداً بل ربما يزيد منـها ويعقـدها ، ولا يـصلح نـشر السلبيات والأخطاء إلا إذا فشا المنكر ولم يستنصح أصحابه ، أو كان أصحابه دعـاة إليـه ولم ينتهوا فعندها يحذر المسلمون منهم ويفضحوا ويعرّف الناس بأصـحاب المنكـرات ليجتنبـوهم وينكروا عليهم ويدعوا عليهم .

وبعد هذا السرد المتواضع لتلك المسيرة نقول ، إن كتابة تاريخ الأمة أمر من الأهمية بمكان وكتابة التـاريخ لا يـصلح أن يتولاهـا الهـواة أو الجهـال بـل ينبغـي أن يتولاهـا أهـل التخصص والعلم الشرعي فكم حصل للأمة من خير من كتب التاريخ ، ألم تكن كتب التـاريخ كالمعين الذي تنهل منه الأمة وترتوي وهو لا ينضب ، بغض النظر عن درجة أسانيد تلك التواريخ أو القصص ، ولكن التاريخ هو حقيقة الأمة وأمة بلا تاريخ أمة بلا مستقبل ولا حاضر ، والأمـة تعيش منذ أكثر من ثمانية قرون وهي أمة بلا تاريخ فلم يدون تاريخ الأمـة الحـديث باسـتقلال وأمانة إلا أعمال قليلة لا تفي بالغرض ، بل قد أشغلت الأمة بتاريخ الأعداء ، وما بين يدي الأمة مـن تاريخهـا الحاضـر إنمـا هـو مـن كتابـات المستشرقين أو الانتـهازيين أو المتـزلفين ، ولا يحـرق قلوبنـا هـذا أكثـر ممـا يحرقهـا أن ينشغل الأكاديميون بكتابة تاريخ رويبضات وزنادقـة وأنجـاس فجـره ، ويهملـون في نفـس الوقت تاريخ العظماء حقاً من العلمـاء والـدعاة والمجاهـدين ، وفي الوقـت الـذي نعـاني فيه من ضعفنا وتسلط أعدائنا علينا ينشر في وسائل إعلام المـسلمين سـيرة هتلـر وجـورج واشنطن وتشرشل وكوكب الشرق وغيرهم من الكفرة أو الفجرة ، فماذا يراد من هذه الأمة ؟؟ هل يراد لها أن تقتدي بأمثال هؤلاء وتنسى رموزها وقادتها ونبيها صلى الله عليه وسلم وأصحابه ؟؟

وإن تعجـب فعجـب مـن أن أبنـاء المـسلمين الـذين يحفظـون أسمـاء اللاعـبين والفنانيين ورموز الكفار وقادتهم .. لو سألت أحدهم عن عدد غزوات الرسول صلى الله عليـه وسلم أو عن اسمه إلى جده الرابع أو سـألته عـن العـشرة المبـشرين بالجنـة لم يعـرفهم أو عن اسم أبي بكر الصديق لا يعرفه ، في الوقت الذي يعرف فيه أنساب حثالـة المجتمعـات .. فياحسرة كم غيّب تاريخ أبطال المسلمين عن أبنائهم ، فأحداث تمر بالأمة أليس مـن الظلـم ألا

يعرف عنها أبناء المسلمين شيئاً ؟ نعم إنه والله لظلم ، وأعظم من يسأل عن هذا الظلم هم أهـــل الإعلام الذين أشغلوا الأمة بالفن والمجون والخنى .

وقد يقول البعض إن الغنيمة التي نرجوها من الإعلام الإسلامي أن يكف شره عن المسلمين ، ولا نريد منه أن ينقل تاريخ الأمة وبطولاتها بقدر ما نريد منه أن يكف فجوره عن الأمة ، نسأل الله العافية والسلامة ، فمن يريد الخير ليس بيده حيلة ولا وسيلة ومن بيده الحيلة والوسيلة يريـــد نشر الشر والفجور ، ونسأل الله أن يشغل أهل الفساد بأنفسهم ويقطع دابرهم ، كما نسأله أن يمكن أهل الخير من نشر خيرهم بكل وسيلة إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..

والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين

ادعوا لإخوانكم المجاهدين والمستضعفين بالنصر والثبات والتمكين فهم بأمس الحاجة لمـــن يدعوا لهم فلا تنسوهم من دعائكم ...

نقله و رتبه أخوكم **al-sh al-h** عن صوت القوقاز و وضعه في سجل الزوار

الأخ **Kuwait**

فلا تنسوني و أخاكم **Kuwait** من صالح دعائكم الآن و في أوقات الإجابة بحسن الخاتمة و الشهادة و المغفرة ....